١٦٢

روايات احلام

نجمة الريح

www.rewity.com

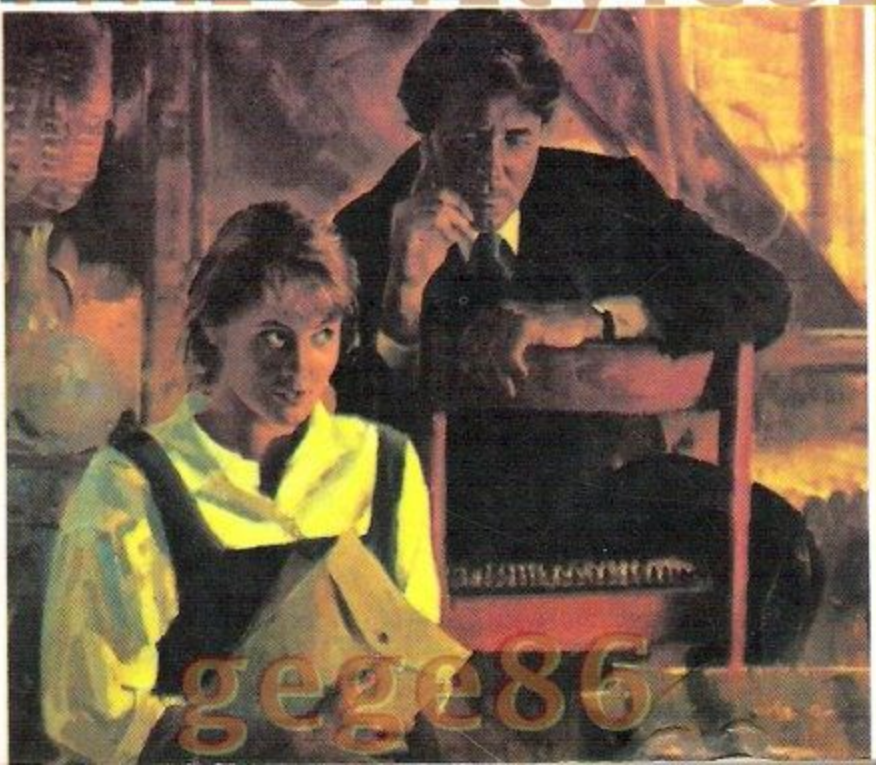

gege86

روايات احلام

نجمة الريح

- تفوق مؤهلاتك كسائقة سيارة مؤهلاتك كامرأة مثيرة للاهتمام... لا شك أنك أكثر النساء تزمتاً وأشدهن إثارة للسأم!

- شكراً لك سيدي!

تعتبر أي امرأة هذه الملاحظة من رب عملها إهانة كبيرة، لكنها كانت مديحاً بالنسبة لأغاتا لأن هذا ما تريده بالضبط... فبعد الظلم الذي عانته على أيدي الحياة والرجال لم تعد تريد سوى أن تمارس عملها كسائقة بجد بعيداً عن العواطف.

من سخرية القدر أن يكون رب عملها رجلاً يمتلك هذه الجاذبية المخيفة وهذا التسلط! فهل تستطيع البقاء بعيدة عن التجربة المرة؟

www.rewity.com

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٧٥ ل.س.	قطر ٦ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١.٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

gege86

نجمة الريح

الحب ... هو عالم أحلام
فيه تبحر الروح نحو الآفاق الوردية
فيتجدد الأمل ... وتغني الحياة
ليبقى الحب عالما لا ينتهي
وربيعا لا يذبله خريف
إليك روايات أحلام
فراشات حب ترفرف بين يديك

www.rewity.com
gngc86

روايات أحلام

مجلة قصصية اسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

العنوان: لبنان ـ بيروت ـ طريق المطار ـ قرب جسر المطار
سنتر زعرور ـ الطابق الثالث
ص. ب: ٨٢٥٤/١١ ـ بيروت ـ لبنان
هاتف/ فاكس: ٨٤١٤٠٢ ـ ١ ـ ٩٦١

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس
والتأليف محفوظة للشركة

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

تنفيذ وطباعة مؤسسة دلتا للطباعة والنشر

ـ حارة حريك ـ تلفاكس ٥٥٧٣٣٦/٠١ ـ خلوي ٢٨٧١٥٨/٠٣

١ ـ البريئة والشيطان

جابت عينا آغاتا العربة بوجه جامد وتعابير جادة كالعادة حتى وجدت مكاناً فيه بعض الخلوة. سارعت تتخلص من السترة المتقنة الصنع فانكشفت عن جسد هو أبعد ما يكون عن مظاهر الطفولة.. مدت يديها لتمتد التنورة الرمادية قبل أن تجلس وذلك للمحافظة على شكلها حتى تصل.

ارتج القطار بعنف وازداد سرعته.. في هذه اللحظات نظرت آغاتا بشوق إلى المروج الغارقة بالضباب. ليتها بثياب عادية ملابس قطنية خشنة ومداسا عالي الساقين لتسير في هذه الحقول بدل أن تكون سجينة في ثياب غير لينة وحذاء رسمي.

مرت أمام ناظريها حقول بنية غنية، سرعان ما اختفت خلف الأشجار وضباب الخريف.. وراء هذه الأشجار عالم سحري غامض يكاد يدفعها إلى إلغاء هذه الرحلة. كان الشوق للحرية مغوياً طاغياً.. ففي مكان ما تلوح الرومانسية في رجل لطيف أشقر محب ويجب أن يكون أشقر فقد تخلت عن ذلك الميل إلى الرجل الأسمر منذ زمن بعيد.

أخفت أهدابها البنية الكثيفة نظرة الأسى التي داخلت تينك العينين البنيتين لأن رجاحة العقل حلت محل الأمنيات.. فكسب الرزق والاستقلال هما في مقدمة أولوياتها حالياً.

بمثل جارد خافييه دونيمز الأمان، أو على الأقل إمكانية الأمان.. قد

www.rewity.com
gege86

يمنحها هذه المقابلة من أجل الفضول.. أخرجت خريطة لندن من حقيبتها وراجعت خط سيرها مجدداً.. عليها أن تستقل أكثر من باص حتى تصل إلى جسر ويستمينستر.. ثم عليها اجتياز مسافة قصيرة سيراً على الأقدام، ثم التلويح بجواز المرور السحري، وليفز الأفضل.. إلا إذا.. اضطربت عيناها.. إلا إذا كان متعصباً لأبناء جنسه.

تلاحقت شجيرات شائكة جذابة كانت تمر بدون أن يلاحظها أحد.. إن عوزها إلى المال هو الذي جعلها تعض شفتها وسبب التقطيبة الصغيرة التي تجعد جبينها الأملس. لديها في المصرف بالتحديد ثمانية جنيهات وعشرون بنساً وصحة جيدة وقدرة على الطبخ وقيادة السيارات.. وتعرف أنها بشعة وهذا ما تعلمته منذ نعومة أظفارها.

كل ما تعرفه آغاثا عن عائلتها أن أمها هجرتها في غرفة الانتظار في مستشفى «غاي» وأنه مضى وقت طويل حتى اكتشف أحدهم الطفلة الهادئة الصامتة.. ثم أصبحت إحدى مشردات لندن وبائسيها فتقاذفت طفولتها في مؤسسات مختلفة، وفي منازل أهل بالوكالة، وغالباً ما كانت منبوذة وأحياناً مهملة.

لم يسبق أن مدحها أحد من قبل، حتى زوجها السابق ادعى أن جسدها هو الذي لفت انتباهه وجذبه.. عرفت أنها أخطأت عندما رمت الحذر وراء ظهرها وارتدت ذلك الفستان المثير إلى حفلة المكتب.. بومذاك أخطأت آغاثا في فهم رغبة بوريس التي ظنتها حباً.. وكان رفضها إياه هو ما فتح شهيته إليها.. وكانت خبرته في الغزل والثناء هما ما جعلاها تتهور، وفيما بعد ثبت لها أن زواجها المتسرع كان كارثة كبيرة.

كان بوريس ينفق ماله بشكل منهور أما هي فراحت تعمل بائسة في سبيل مضاعفة إيرادهما الذي سيساعدهما على تأمين بيت لهما لم تنعم به قط.. وكان التعب يضنيها بحيث تمكنت من تجنب المعاشرة الزوجية.

ارتجفت آغاثا لأنها تذكرت أنها وهبت حبها لمن لم تنل منه غير الغدر.. حاولت عدة مرات تجاوز محنتها ولكنها لم تستطع فكان أن تقوقعت على ذاتها، رافعة حاجزاً من التحفظ أصبح كثيفاً، كثيفاً، فدفن مشاعر عميقة.. فالحياة وجهت لها ضربات عدة في الماضي حتى باتت أقوى عاطفياً وترفض في الوقت الحالي المخاطرة مجدداً.

ثمة محطتان قبل الوصول إلى فيكتوريا.. هدأت آغاثا أفكارها وألقت نظرة على مظهرها فوجدت أن من غير الضروري تسريح شعرها المرتب المعقوص، ولكنها تبدو كمربية بسيطة.. إنما لا داعي أن يعرف أحد أن ضفيرتها الطويلة تنسدل على ظهرها حين تتركها حرة وقت النوم.. تأملت وجهها بانتقاد فوضعت على الأنف المستدق لمسة من البودرة ولوّنت الثغر غير المبتسم بقليل من أحمر الشفاه الوردي.. حدقت إليها العينان البنيتان الكبيرتان بوقار من تحت أهداب كثيفة هي مصدر زهوها الوحيد.. هذا يكفي.

وجدت مُجتمع الشقق السكنية في «كينغزريتش» فاندفعت إلى ردهة مدخل واسع حديث، بدت مموهة على شكل غابة.. قد تكون بعض النباتات حقيقية لكنها غريبة كثيراً!

اعترض طرزان مرتدٍ بذة رسمية طريقها:

ـ ألديك إذن مرور آنسة؟

ـ إذن مرور؟ آه.. أجل.

فتحت حقيبة يدها.. كم تكره حقائب اليد.. أخرجت البطاقة المتوّجة بالذهب فقرأ الرجل ما هو مدوّن على البطاقة:

ـ شكراً لك آنسة.. لدى السيد دونيمز شقة تستطيعين الوصول إليها من ذلك الباب هناك.

سارت آغاثا على الرخام الفاخر فشعرت بالارتباك لأن كعبي حذاءها يصدران أصواتاً مرتفعة ولكنها لم تحاول السير بهدوء ومع أنها لم تر

www.rewity.com
gege86

طرزان ذاك عرفت أن عينيه تلحقانها . . قرعت الجرس المثبت على الباب المصنوع من الماهوغوني .

ـ نعم؟

جعلها الصوت المفاجىء الذي تناهى من مذياع صغير فوق الجرس تنتفض . . إنها تكره هذه الأشياء لأنك لا تعرف أبداً مدى قربك منها ولأنك لا تعرف ما إذا كان عليك أن تصيح أو تردّ همساً .

ـ صباح الخير . . أنا آغاتا بروست . لدي موعد لـ . .

ـ ادخلي .

انفتح الباب بلمسة سحرية . . دفعت الباب بتردد فوجدت أنها موضع اهتمام واستغراب من قبل أربعة رجال أنيقين .

سألها أحدهم :

ـ حسناً! لا أخالك تسعين إلى الوظيفة؟

ردت بهدوء : بل أسعى إليها .

ـ يا الله! يا للمساء! إنهن يزججن بأنوفهن في كل شيء!

نظرت إليه حائرة :

ـ كدت أقول الشيء ذاته عن الرجال . . هل تنتظرون جميعكم من أجل هذه الوظيفة؟

قال الجالس في آخر غرفة الجلوس :

ـ أجل . . وثمة رجل آخر في الداخل . . رب هذا العمل يقابلنا بحسب ترتيب وصولنا، وعليه أنت الأخيرة .

غارت في الكرسي وهي تشعر بالراحة لأن لديها الوقت الكافي لتستعيد رباطة جأشها .

بعد دهشتهم الأولى تجاهلها الرجال وأغرقوا في التحدث عن وظائفهم الحالية، وعن الشائعات والفضائح التي تمر بهم . . آغاتا معتادة على أن يتجاهلها الآخرون، فاستغلت الوقت لتراجع الأسئلة التي قد

بطرحها عليها .

انفتح الباب في نهاية الغرفة . . فإذا رجل أشقر طويل يدخل برشاقة إلى غرفة الجلوس . . عندما انغلق الباب وراءه أرخى كتفيه ومرر يده على جبينه . فسأله أحد الرجال :

ـ كيف شكله؟

ـ وماذا تتوقع من رجل يكسب رزقه من تمزيق الناس؟ إنه نذل بكل ما للكلمة من معنى وإن كنتم عاقلين فتخلوا عن الانتظار وهيا بنا إلى المقهى القريب . . أحتاج إلى القهوة المرّة .

قد يصبّ هذا كله في خانة مصلحتها إذ قد يكون هؤلاء الرجال متكبرين بحيث يرفضون العمل عند رب عمل صعب المراس، أما هي المسحوقة فلن تشعر بمعنى التكبر . . علمتها تربيتها كيف تعض لسانها وكيف تحافظ على تهذيبها وكيف تخفي مشاعرها . . مع ذلك فسيساعدها إن سألت أي نوع من الأنذال هو السيد دونيمز .

إنه رجل ثري، فموقع الشقة على ضفاف التايمز في منطقة فخمة . . ومن حيث هي جالسة ترى شرفة مشمولة كبيرة عليها كراسي من الخيزران، وطاولات مظللة بمظلات بيضاء تحميها من شمس تشرين الأول .

فجأة، رافقت أصوات مرتفعة خروج الرجل التالي الاسكتلندي السمين الذي علا وجهه تعبير كتعبير الرجل السابق ثم هز كتفيه، وصفق الباب وراءه .

ما إن حل دور آغاتا حتى كانت مضطربة كثيراً فلم يبدُ أي من أولئك الرجال مسروراً بعد المقابلة . التقطت حقيبتها فسوّت سترتها قبل أن تتوجه بهدوء إلى الغرفة وهي تسحب نفساً عميقاً بهدىء روعها . . ولكنها تملك الخبرة والهدوء والاستقلالية والأظافر النظيفة . . ما الذي يريده أكثر من هذا؟

www.rewity.com
gege86

ولكن الهدوء سرعان ما تبدّد.. فقد صعقها جارد خافيه دونيمز بحيث تسمرت من أول نظرة.. وهذا تأثير لاحظته فيما بعد كثيراً. قلة قليلة من الناس يبقون متيعين أمام الحيوية التي تتدفق من جسمه، أو أمام السيطرة الدقيقة على النفس، والعنف الذي يتعمد إبرازه.. سيطر وجوده الأسمر المخيف على الغرفة بحيث لم تر غير إرادة مسيطرة تجذب كل شيء إلى كهف عقله وجسده الأسود المظلم، وكأنه تجسيد للجحيم ذاته.. بدا في النور الخافت رجلاً قاسياً لا يمكن سبر غوره ودمه الكولومبي أكثر ما يكون واضحاً عندما يكون كئيباً.. والواقع أنه غالباً ما يكون كئيباً.. فهذا ما اكتشفته لاحقاً.. كان جالساً على طرف منضدته، وساقه الطويلة الأنيقة تتأرجح بإهمال مخادع أما عيناه السوداوان الشرستان فراحتا تتفرسان فيها.

إنه في الخامسة والثلاثين من عمره تقريباً.. وجهه وجه من عركه الدهر.. ولأنه رسام كاريكاتوري وكاتب هو شخص مشهور عالمياً.. بدت كل شهوات بني البشر منجسدة في تعابير وجهه وفي عينيه الناقدتين.

ـ نفدت من عندي الأبواق المكبرة للصوت.

صدمها صوته الذي يشبه المخمل الأسود في نعومته، غير أن وراء هذا الصوت سخرية لاذعة.. أردف حين أدرك أنها لم تفهم ملاحظته:

ـ اقتربي.. يصعب عليّ مقابلة الناس وهم على بعد نصف ميل.

ـ آه.. بالتأكيد.. أنا آسفة.

غضت طرفها وجلست في المقعد الذي أشار إليه.. قال بصوت مليء بالحمم البركانية الدائبة:

ـ كيف حالك سيدة بروست؟ أنا جارد دونيمز.

ومد يده.

أجبرت نفسها على مبادلته التحية بأدب. عندما لامست الأصابع السمراء الطويلة بذلت جهدها لئلا ترتدّ إلى الوراء بسبب الشعور الرهيب

الذي رافق مصافحته.

ـ استرخي..

إنّه رجل لا يحب كثرة الكلام..

ابتسمت: «شكراً لك.. سأفعل».

إذا كان سيمثل دور المقابل الصارم فستمثل دور الموظف الفاتن الذي لا يتأثر..

جلست متقاطعة الساقين ثم وضعت يديها في حضنها.. مرت عيناه بها بدءاً من حذائها البسيط الأسود.. أما زال نظيفاً؟ ثم انتقلت نظرته المتفرسة إلى ساقيها المديدتين النحيلتين المضمومتين بشدة.. دارت عيناه حول خصرها النحيل وخصر السترة المتناسقة معه..

اقشعر جسمها من طريقته في تأملها.. ولكنه يفعل ذلك ليربكها، وكان الشعور الذي أوحته نظرته أنها أقل شأناً.

جاءت العينان السوداوان في وجهها كله فلاحظتا كل شيء.. ورغماً عنها اضطرت إلى النظر إليه يا الله.. ما أوسمه! إن وسامته مدمرة.. وجهه أسمر قوي العظام وأنفه قوي ولكن غير كامل، والسبب على ما يبدو أن شخصاً ما حطم له وجهه يوماً بقبضة فحطم له عظم أنفه وهذا ما زاد من نظرة الشر في قسماته الخطيرة المهددة.. ربما ذات الشخص، أو غيره، شق له أحد خديه المرتفعين. فثمة ندوب خفيفة على وجهه. بدا فمه وكأنه منحوت من الغرانيت.. إنه عريض المنكبين واسع الصدر، مديد الساقين.. والواقع أن كل ما يبدو على هذا الرجل يوحي بقوة هائلة وبطاقة ديناميكية.. إنه.. رجل.. رجل..

مدّ يده إلى ملف أخرج منه رسالتها ونبذة عن سيرتها.. وضع الورقتين جنباً إلى جنب ليراهما بوضوح..

ـ لماذا أوظف امرأة بحق الله؟

ـ إنه أمر لا يقدر أحد على الحكم فيه غيرك سيد دونيمز.. فأنا لا

www.rewity.com
gege86

أعرف مؤهلات منافسيّ أما أنت فتعرفها.

عبس قائلاً: «أنت صغيرة . ثلاثة وعشرون عاماً».

ـ أجل.. إنه عمر المرشحين الآخرين.

رد بجفاء: «لكنهم لم يحظوا بالوظيفة».

ـ أنا أنضج وأكثر منهم خبرة.

ارتفع حاجبه قليلاً عندما لفظت كلمة «خبرة» لكنها ظلّت تنظر إليه بثبات:

ـ وما الذي أعطاك مثل هذا النضوج.. بحسب رأيك؟

ـ حياة صعبة.. أنا ربيبة بيت بالوكالة. تنقلت بين عدة بيوت، وتعلمت الاعتماد على النفس في عمر مبكر..

لم تكن صراحتها أمراً معتادة عليه، فماذا دهاها بحق الله! لا شك أنهما عيناه اللتان تفكان عقدة أي لسان.. بدأت وستمضي على صراحتها هذه ولينذهب إلى الجحيم.

ـ لماذا ترعرعت في بيت بالوكالة؟

ـ وهل لهذا شأن في موضوعنا؟

ـ ربما.. هل من سبب يحول دون إخباري؟

ـ لا.. كنت ابنة غير مرغوب فيها.. فأمي لم ترغب قطّ في تربيتي.

رغماً عنها ظهر شيء من العذاب في صوتها.. فما زال ذكر هذا الأمر يؤلمها.. لم يحبها قط أحد.

سألها بصوت خافت:

ـ إذن بيننا شيء مشترك سيدة بروست.

رفعت رأسها تنظر إليه فإذا عيناها البنيتان مذهولتان.

أضاف: أنا أيضاً ابن غير مرغوب فيه، فأبي لم يرغب فيّ أيضاً.

وقعت آغاتا في عينيه السوداوين العميقتين اللتين لا قرار لهما.. وتصورت أنها شاهدت أولى علامات الحزن ثم المرارة، قبل أن تشيح

بوجهها مرتبكة.. أصابت على ما يبدو وتراً حساساً فيه ولطفاً وشفقة.

عرّت نظرته الممعنة تفكيرها بطريقة مدروسة حتى شعرت بأنه يرى كل ما فيها ويؤسها. قال:

ـ همم.. ما هي الميول المازوشية المرضية التي دفعتك إلى تعذيب نفسك في قضاء يومك في زحام السير الخانق؟

امّحت اللحظة.. فانطباعها عن رهافة إحساس هذا الرجل لم يكن غير وهم وخيال سرعان ما أطاح بهما بريق هاتين العينين الساخرتين.

أجابت: «الجوع.. سيد دونيمز.. هذا عدا نقص في مواهب أخرى».

ـ أنت بطيئة الاستيعاب قليلاً سيدة بروست.. فهل أنت تسيئين دوماً تقدير الناس؟ لا تهمني القصص الجانبية.. لقد ولّى العهد الذي كنت فيه أشعر «بالشفقة».

في كلامه صراحة سليطة.

ـ لم أتلق في حياتي غير السيف.. حاولي ابتداع خدعة أخرى.

امتنعت عن القول له إنه فعلا لا يملك ذرة شفقة في جسده كله.

ـ سألتني ما معناه لماذا فقدت عقلي واندفعت للعمل سائقة عندك فأجبتك ذاكرة السبب.. كنت أكرر ما هو واقع.

ترجل عن مكتبه، ونظر إليها طويلاً:

ـ لست واثقاً ما إذا كنت تنتقين كلماتك بذكاء أم تسخرين مني.. أم ما إذا كنت ساذجة بريئة.

ابتسمت بينها وبين نفسها.. فقد عادت العينان السوداوان الثاقبتان تحدجانها بشيء من التقويم.

ـ لا تجد شركة «بروسن فارغو» عيباً في قيادتك.

أجفلت فتلك الشركة ملك بوريس زوجها السابق الذي رفض أن يعطيها كتاب توصية لأنها أذلّت عشيقته.. فمن أين حصل جارد دونيمز

www.rewity.com
gege86

على أية معلومات عنها؟ عرف على ما يبدو تساؤلاتها إذ أجاب:

ـ لدى بعض السكرتيرات في الشركة أفواه كبيرة خاصة بعد «عمولة» معقولة.

قالت بهدوء: «فهمت».

بعد أربع سنوات من قيادة السيارات في لندن، مع كل الأشخاص من مغني البوب إلى ملحقين دبلوماسيين من بوليڤيا إلى ممثلين مقنعين من أفريقيا أصبح سجلها كاملاً.. فلم يحدث أن ضاع معها شيء ولم تتعرض قط إلى متاعب، أما المآسي التي مرت بها فحلتها باللجوء إلى الصبر والهدوء والتعقل.

مع ذلك كرهت تحقيقه المخادع عنها.

ـ كان أبسط وأرخص لك أن تجري عليّ تجربة بدل هذا.. آه؟

رفعت يدها إلى فمها لأنها أدركت ما قالت.

أظهرت ابتسامته أسناناً بيضاء ناصعة في بشرة سمراء، ثم تمتم:

ـ يا لها من فكرة مثيرة للاهتمام!

عاد إلى تقويم آغاتا مجدداً، ثم جرّ كرسياً أمامها. وجلس مستنداً إلى الوراء وأمسك معصمه بأصابع سمراء. مررت آغاتا لسانها على شفتين جافتين.. فالرجل ينضح رجولة مع كل حركة له.

ـ أكان ذلاً؟

حاولت آغاتا أن تظهر عدم اهتمامها بالموضوع:

ـ إذا قصدت بسؤالك هذا رب عملي القديم وزوجي السابق، فأجيب أنها كانت مسألة عدم توافق.

ـ حسناً.. إنها معجزة.. امرأة غير حاقدة. ما عيب عملك الحالي؟

ـ ليس العمل في وكالة عملاً ثابتاً.. وأنا بحاجة إلى راتب ثابت.. لقد سجلوني في قوائمهم منذ أشهر فقط. أما الأفضلية فتعود إلى سائقين لمدة طويلة.. أسكن قرب «غايتويك» وهو أمر مساعد ولكنني أفضل

العمل في لندن..

لم تضف إلى كلامها أن شقتها في الطابق السفلي تحت الأرض رطبة وغير صالحة للسكن لأنه لن يهتم بهذا.

وقف جارد بخفة.. وبدأ يذرع الغرفة.

ـ إنها ساعة الازدحام اليومي.. وقد تأخرت عن اجتماعي ووسط شارع أوكسفورد تعطلت السيارة.. فما هو أول ما تقومين به؟

ـ أتقذف.

ابتلع صيحة دهشة، وهذا ما أبهج آغاتا. لن يكون الوحيد في هذه المقابلة:

ـ وماذا بعد؟

ـ الأمر وقف على بُعدنا عن مقصدك.. فقد نكون على مقربة من المكان المقصود بحيث يمكنك الوصول سيراً على الأقدام.

ـ لكن السماء تمطر، وكنت مصاباً بالتهاب رئوي منذ مدة قصيرة ويمنعني الطبيب من السير تحت المطر.

كبت ابتسامة.. وفكرت بردها.. كادت تقول له إنها لم تر قط رجلاً في صحة معافاة كصحته وإن من المستبعد أن يسمح لأي كان بمنعه عن مراده.

ـ فهمت.. قد أساعدك في الوصول إلى باص، أو أرشدك إلى أقرب مترو..

أملت أن يلاحظ أن كلماتها تدل على أم ترشد ولدها الصغير.

ـ ليست وجهتي على طريق المترو، وكل الباصات مكتظة بتلميذات المدارس.

ابتسمت: «أحاول طلب تاكسي».

ـ ليس هناك تاكسي.

ـ في هذه الحالة.. سأعمل على راحتك وعلى تسليتك وأشمر عن

www.rewity.com
gege86

ساعدي لأنني تلقيت دروساً في الميكانيك سيد دونيمز، في مدرسة التدريب على القيادة.

برقت عيناه مؤقتاً عندما قالت «تسليتك». وجدت آغاتا أن هناك ما يمكن تحريره في نفس هذا الرجل.. أضاف بلا هوادة:

ـ أعرف.. لكنك لا تقدرين على إصلاح العطل.

ـ يصعب ذلك لأنني سأشرف على صيانة السيارة أول بأول.. على أي حال إن حدث شيء كهذا فلن يكون أمامي غير الاتصال هاتفياً لتأخير الموعد.

ـ أقرب هاتف منا على بعد ميلين، والمحلات مقفلة.

همست بانتصار: «ولكننا سنتصل من هاتف سيارتك».

رد ببرود: «ليس لدي هاتف».

ـ حقاً! يذهلني هذا! هل لي أن أنصحك بشراء هاتف؟ فالهاتف بالنسبة لرجل مثلك لا يقدر بثمن.

أحرقت نظرته بضع كالوريات من عقله.

ـ ما هو بالضبط تصدك.. رجل مثلي؟

ـ بالضبط؟ رجل مهم، كثير الأشغال، وعلى عجلة من أمره دائماً.

مط شفتيه وهو يبتعد عن نظرها.. عندما تكلم أدركت أنه يقف وراء كرسيها.

ـ ما هي العلامات التي نلتها في امتحان الميكانيك؟

ـ هم يعطوننا درجات سيد دونيمز. أرى أنك نسيت هذا.. منحت درجة «أ».. والواقع أنني لم أرغب في جلب شهادتي لأن ذلك قد يعتبر تبجحاً.

سأل: «طلب حبيبك منك تناول العشاء مع عائلته.. وتعرفين أنها خطوة نحو طلب يدك.. ثم طلبت منك أن تجلبي شخصاً ما من مطار هيثرو.. فماذا تفعلين؟»

ـ أذهب إلى هيثرو.. والحقيقة أن أمراً كهذا لن يحدث لأن لا التزامات لدي من هذا النوع، وأنوي البقاء على هذه الحال.

رن جرس الهاتف فشعرت آغاتا بالراحة.. سمعت تمتمة اعتذار سريعة، ثم تقدم إلى منضدته ليرفع السماعة. عندئذ شعرت بالراحة لأنها أصبحت بعيدة عن مرمى بصره.

الآن، وهي بعيدة عن عيني جارد الثاقبتين تمكنت من تأمله بدقة.. كان واقفاً بتعجرف.. بدا مسيطراً على الغرفة بقوة شخصيته غير العادية وبدا صوته أشبه بصوت قط أجش.. لا.. انسي هذا.. بل هو كصوت نمر أسود قوي، برائته هاجعة مؤقتاً.. لكن عضلات كتفيه وساقيه المشدودتين تشير إلى أن النمر مستعد في أية لحظة على للانقضاض والهجوم.

ملست يد لينة سمراء الشعر الأسود المصقول في حركة مثيرة بطيئة.. في هذا الرجل رقة هي أشبه بفولاذ ونزعة إلى القسوة.. فحتى لو لم تقرأ بعض مقالاته أو ترى رسومه الكاريكتورية لشعرت بهذا الشعور. فإن من يواجهه مهما كان شأنه سيتعرض للأذى.

سمعته يقول برقة:

ـ كارول.. صدقيني.. لم يحدث شيء.. كان مجرد عناق.. تعرفين ما أشعر به نحو الصهباوات.. لا.. لا تفعلي هذا. تعجبينني لأنك شقراء..

رفعت آغاتا عينيها إلى السماء.. لن تهضم معدة أية امرأة هذا النوع من الكلام السخيف؟ ولكنها هضمته على ما يبدو إذ بدا أن كارول رضيت، فقد ضحك برقة وقال:

ـ بالتأكيد.. الليلة.. حتى السابعة.

وأعاد السماعة بلطف.

انتقل بسرعة من الإثارة والإغواء إلى البرودة والكفاءة. قال لها:

www.newity.com
gege86

ـ أحد أسباب حاجتي إلى سائق هو أنني أتناول الطعام في الخارج كثيراً.. غداء عمل أعمل فيه على تدليل فريستي لتشعر بالحبور سيدة بروست.. وبهذا يعمد ضيوفي إلى الكلام بصراحة.. أحياناً أرى أن من واجبي مرافقتهم إلى بيوتهم أو نواديهم.

دفع يديه في جيبيه ثم أضاف:

ـ وأنا.. أصبح أحياناً متهوراً قليلاً.. أعتقد أنك قادرة على التعامل مع ذكر لا يضبط نفسه؟

برقت عيناه بمكر.

بتعمد مضايقتها ليرى ما ستكون عليه ردة فعلها. شابت نفسها رعشة سرور لا يمكن الخطأ فيها.. قالت بما هو واقع:

ـ الذكور غير المنضبطين هم عادة أطفال من الداخل. والواقع أن الرجال يميلون إلى عدم التحرش بي أو التسبب بالمتاعب.. فعلى ما يبدو يعرفون أنني لا أجدهم أبداً مخيفين أو خطرين أو جذّابين!

أملت أن يُبلَع الرسالة.. كافأها بضحكة رقيقة وسألها:

ـ وهل يحسنون التصرف دائماً؟

ـ أجل سيد دونيمز.. دائماً.

تغير تعبير وجهه فجأة وقال بوحشية:

ـ لدي ابنة لا مجال للتواصل معها، وأخت تدبر المكائد وأخ كذاب.

صدمتها كلماته ولعل ما أدهشها أكثر من ذلك معرفتها بأنه متزوج. فالشائعات التي تدور عنه تركز أكثر ما تركز على تدمير المرأة المرافقة له، وتشير في أوقات متفرقة إلى مناسبتين لكم جارد فيهما مصوراً صحفياً.. لكن ما قاله الآن أضفى ضوءاً جديداً عليه.. إذن تحت هذه الواجهة القاسية رجل أشد قسوة..

أضاف: يشمل عملك نقلهم من مكان إلى آخر، كذلك.. وقد يكون هناك أطفال مزعجون لا يهدؤون وقد يعملون على تخريب تنجيد

السيارة.. فما شعورك حيال هذا؟

ـ سبق أن تعاملت مع أطفال صعبي المراس، سيد دونيمز.. ولذا لن أجد مشكلة في هذا.

ـ أتحبين لندن؟

ـ ليس بوجه خاص.

ـ أتفضلين الريف؟

تهلل وجهها: «أوه.. أجل».

ـ حتى وحل المزارع وروث المواشي المقرف؟

ـ لكنني أرتدي حذاء ويلنغتون المرتفع الساقين.

ـ بيعي نفسك لي.

ـ لست للبيع سيد دونيمز.

ـ لا.. أرى هذا بوضوح.. أعتذر، سيدة بروست.. هل تخبريني لماذا أنت سائقة ماهرة.. أعرف أن بإمكانك قيادة سيارة، لكن هلاّ لخصت مؤهلاتك الأخرى.

شعرت أغاثا بأنه ما يزال يتلاعب بها.. تفكرت في الإجابة بحذر:

ـ أنا قادرة وكفوّة.. لا يرف لي جفن، وأعرف لندن خير معرفة.. وأعرف حاجات الزبون قبل أن يعرفها.. وكجميع النساء السائقات الماهرات لا أجدني بحاجة إلى التنافس مع أحد لأثبت براعتي. سلامة وراحة زبوني هما العاملان المهمان.. أنا نظيفة ومرتبة ولا أملأ السيارة بالعطر الثقيل، ولا ألقي نظرة على أحمر الشفاه وسط الزحام.. ولا أضع عطر ما بعد الحلاقة ولا آكل الثوم أو أدخن الغليون، ولا أنسى أبداً أن أغسل وراء أذنيّ.

ابتسم ساخراً:

ـ تبدين كاملة.. هل هناك شيء آخر؟ ما رأيك بالعمل في ساعات غير مناسبة؟

www.rewity.com
gege86

- مستعدة لهذا. فليس لدي ارتباطات، ولا يزعجني هذا أبداً.

- أيمكنك أن تعملي بهذه المثالية حتى ولو تجاهلتك؟ أم لعلك كسائر النساء تتوقعين مدحاً وتطمينات.

لو صدر هذا الكلام عن رجل آخر لأذاب معظم النساء، لكن في رنته وكلماته كره خفي للبشرية وللنساء بشكل خاص.. لذا أصابت قسوته عظامها..

قالت: تجاهلني ما شاء لك ذلك.. ولأكن صريحة معك، أفضل هذا.. لأنني معتادة عليه.. لم يستطع أحد صدم غروري.

وافق بجرأة: «لا.. لا أعتقد هذا».

حسناً، نعرف الآن ما سيكون موقفها! لن يحاول هذا الرجل إغواءها! لا خطوات تمهيدية ولا محاولة تمنع ولا رومانسية.. فأمامها مثال بدائي لنذل وسيم، مثير، لكنه أناني من جهة العواطف.. ارتعشت قليلاً.

- أتشعرين بالبرد أم تراك متوترة؟

لا يفوته شيء أبداً.

- لا هذا ولا ذاك.

- هكذا إذن.

ما الذي يراه يا ترى؟

أردف ساخراً: «سأجربك».

قالت بعينين متسعتين، فيهما نظرة ساخرة: هذا كرم منك.

عرف أنها تمازحه.

- لا.. أبداً. أنت أول شخص تجاوب معي بهدوء. أنا بحاجة إلى من هم مثلك.. حياتي قاسية، سريعة. وأحتاج إلى سائق يقلني من مكان إلى آخر، ولا يؤثر في أعصابي ولا يأخذ غضبي أو انشغال فكري على محمل شخصي..

- أجل.. شعرت بأنك لا تتحمل العبث أو الغباء بسرور.

تمتم: «لا تظهري مثل هذه الراحة.. فالعمل معي أمر غير سهل. من عمل قبلك استمر معي مدة أسبوعين فقط.. لذا أقترح فترة تجربة لنا معاً.. فلنقل أربعة أسابيع. فإذا وجدت أنني لن أحتمل هالة البراءة والطاعة العمياء، فسترحلين.. مع أن عائلتي ستشاركني بك ولكنني أنا الذي يدفع أجرك، وأنا رب عملك.. وعليك إطاعتي أنا. مفهوم؟»

- تماماً سيد دونيمز.

- بدءاً من الآن.. أحتاج إلى الغداء.. وسأشرح لك واجباتك.. إنها معقدة قليلاً.

سار نحو الباب بدون أن ينتظر موافقتها.. عبست آغاتا.. ربما هي على موعد غداء مع أحد ولم يخطر بباله أن يسأل.. زمّت شفتيها واعترفت أن هذا سيوفر عليها الغوص في علبة سردين في المنزل.. فهي الآن من تستغله، وليس العكس. في الكاراج تحت الأرض، أعطاها المفتاح وركب في المقعد الخلفي.

السيارة من نوع «بنتلي توربو» وهي جميلة مصقولة لونها أحمر غامق.. إنها سيارة رائعة فمحركها صامت بحيث اضطرت إلى إرهاق السمع لتسمعه.. لكن وجود رب عملها خلفها جعل شعر عنقها يقشعر وراحتيها تعرقان.. إنها كمن يسبح ببطء ورقة أمام سمك مفترس.. تجنبت النظر إليه طوال الطريق.

أقلّته إلى مطعم في «الوست إند» واتجهت إلى موقف سيارات قريب تعرفه.. ثم عادت مسرعة فوصلت مقطوعة الأنفاس.. ولم تكن قادرة على اقتناص فرصة لتجفيف عرقها.. إذ لن ينتظرها جارد دونيمز كثيراً.. وهو على الأرجح بدأ بتناول الطعام الآن.

في الواقع كان يقدم اللائحة إلى الساقي عندما وصلت إلى مائدته.. قد تكون مخيلتها خصبة ولكنها رأت شيئاً من الرقة في عينيه.. هبَّ واقفاً وانتظر حتى جلست.

www.rewity.com
gege86

- اجلسي سيدة بروست.. طلبت الطعام.

لكنها أشارت إلى الساقي، ومدت يدها تطلب لائحة الطعام التي تأملتها بدقة، في هذا الوقت أطلق جارد ضحكة خافتة.

- سأتناول الأفوكادو.. وسمك السلمون مع السلطة.

عليه أن يفهم عدة أمور عنها.. أولها أنها تدير حياتها بنفسها.

قال الساقي: «إذن لا تغيير في الطلبات سيدي».

اللعنة عليه لأنه أصاب في تخمينه. وابتسم جارد ابتسامته الشيطانية!

قال: تفوق مؤهلاتك كسائقة مؤهلاتك كامرأة مثيرة للاهتمام.. لا شك أنك أكثر النساء تزمتاً وأشدهن إثارة للسأم.

بلغت ملاحظته حد الوقاحة!

- شكراً لك سيد دونيمز!

النوى الفم الغرانيني ولاحظت خط فكه المنحني بعينيها فارتعشت قليلاً.. وكانت رعشة غير متوقعة إذ أوقعت منديلها إلى الأرض.. وأمضت لحظات طويلة لتستردّه، فقد أرادت أن تجمع شتات نفسها لأنها لا تجلس دائماً على بضع أقدام من أوسم الرجال في لندن.. ومن المحتم أن ترتجف قليلاً طالما لا يلاحظ.

قال: «في الأسابيع الثلاثة القادمة ستتالين أجراً مرتفعاً، وسيكون عملك قليلاً فأنا أعمل معظم الوقت في شقتي. ستقلينني إلى المكتب أحياناً وإلى مواعيد غداء وإلى مجلس النواب، وما إلى ذلك.. أرجو ألا تكثري الكلام لأنني أستغل فترة الهدوء لأنظم أفكاري.

- وماذا عن ابنتك؟

- لا تعيش معي.. أختي هي التي تعتني بها.

حارت من غضبه الظاهر، ولكنه غير دقة الموضوع.

- سأشرح لك كل شيء بعد قليل.. فلنشرح أولاً واجباتك في لندن.. أتوقع منك أن تعملي أوقاتاً إضافية، ولكنك ستتالين المكافآت

إضافة إلى راتبك. هل هذا مقبول؟

ها هي الحياة تبتسم لها.. هزت رأسها موافقة.

- أخرج للعشاء كل ليلة.. وأقوم بشكل منتظم بزيارة المسرح.. أرجو أن تكوني من هواة المطالعة لتتسلي بالقراءة في الأوقات التي تنتظرين فيها مدة طويلة.

- أحب المطالعة التي اعتدت عليها منذ طفولتي..

- لا تتحدثي سيدة بروست، فلساني سليط كثيراً ولن تتحملي سلاطته.. في نهاية الأسابيع الثلاثة ستجلب شقيقتي وزوجها ابنتي بيرتا من العطلة. عندئذ ستقسمين وقتك بين لندن وبين مزرعتنا قرب «سكاتبس هيل» حيث يقيمون.. إنه منزل أخي، إبلباس.

رفعت رأسها بسبب رنة المرارة التي شابت صوته.

ابتسم: لأسباب معروفة لهما فقط، أخي وشقيقتي لا يقودان سيارة.. لذا سنكونين رهن إشارتهما حين لا يكون زوج أختي موجوداً، وهذا ما يحدث معظم الوقت.. فحياته تدور حول خصي الخراف، والذباب الطنان، وغلال الحنطة.

لا يسلم أحد من سلاطة لسانه..

سألت: أين سأقيم أثناء العمل في لندن؟ يقول الإعلان إن الإقامة مؤمنة.

- حين لا تكونين في المزرعة ستقيمين معي، فأنا أحتاجك قريبة مني.. ولدي غرفة تلبي حاجاتك.

نفرست في وجهه الجامد قليلاً.. وسألت:

- هل لديك خدم؟

- لا.. كان لدي.. لكنهم كانوا يزعجونني وأنا أعمل.. أما أنت فلن تتطفلي على ما أعتقد.. ثمة امرأة تنظف الشقة يومياً.. هذا كل شيء.. أنا أتناول الطعام عدا الفطور في الخارج.. بإمكانك استخدام المطبخ.

www.rewity.com
gege86

غير متطفلة، غير فاتنة، مملة: يجعلها هذا كله آمنة من نزواته الشهيرة.. من الأفضل لها أن يظن هذا.. فهو رجل لن يترك فتاة جذابة وشأنها.

ـ تقضي عادة عطلة الأسبوع في المزرعة وستقليني إلى لندن صباح كل إثنين باكراً.. فأنا أضع كل مواعيدي المهمة في بداية الأسبوع.. يوم الأربعاء تعودين إلى المزرعة لتقومي بعملك عند العائلة، ثم تعودين لأخذي يوم الجمعة بعد الظهر إلى «سوسكس».. أتريدين الحلوى الآن؟

ـ آه! لا شكراً لك.

ـ اذهبي لإحضار السيارة إذن.. بعدئذ أقليني إلى «كارتيه».

ـ حاضر سيد دونيمز.

ـ سيدي تكفي.

رفعت حاجبها قليلاً، فقال:

ـ سيكون هذا أسهل لنا.. معظم معارفي من المغرورين أو المدعين أضيفي إلى هذا أن الرسميات ستبقينا بعيدين عن بعضنا بعضاً.

ردت بهدوء: «أجل سيدي».

تلقت في أثناء تدريبها العملي تحذيراً من أن رب العمل قد يستخدم اسمها الأول ولكنه في المقابل يتوقع كلمة «سيدي» فهذا جزء من العمل.. ولكن لن يطول بها الوقت حتى تجمع المال الكافي ثم تقول له أن يتدبر أمره.

وصلت «البنتلي» إلى الزاوية في اللحظة التي خرج فيها جارد إلى الرصيف.. ترجلت آغاتا تفتح له الباب فلاحظت أنه يحظى بنظرات الجميلات المارات.

قال لها وهو يقف بالباب:

ـ بذلتك الرسمية.. أقليني إلى «كارتيه» ثم اذهبي إلى «بورلنغتون» الأخصائي في البذلات الرسمية، شارع «ساڤيل رو».

راجعت عيناه جسدها بنظرة حميمة:

ـ اللون أخضر والقميص أبيض.

انتظرت حتى جلس، وأقفلت الباب.. ثم انطلقت إلى ازدحام الظهيرة.

يا له من رجل مثير للأعصاب!

بدت لها هذه المهمة الخير في مواجهة الشر.. البرئة الجميلة في مواجهة الشيطان وابتسمت لنفسها لأنها تصدت لتلك المعركة الدائمة بين الخير والشر.. ستكون وظيفة رائعة!

* * *

www.rewity.com
gege86

٢ ـ الأخوة الأعداء

اختارت آغاتا بذلة خضراء من محلات بورلنغتون بهدوء ومرح.. فالنكتة سترتد على جارد دونيمز، لأن الخطوط الناعمة التي تحدّد جسدها بنجاح وليدة عقل مصمم عالمي وستكلفه البزة مبلغاً كبيراً.

قال عندما كانت تقله من شارع «نيوبوند»:

ـ أقليني إلى البيت سيدة بروست.. وبعد ذلك أنت حرة موعد الغداء غداً.. استخدمي السيارة لتحملي بها كلما أنت بحاجة إليه للانتقال إلى منزلي.. هل تملكين الكثير؟

التقت عيناه في المرآة:

ـ في الواقع.. لا أملك شيئاً.

غلطة كبيرة.. فهي عن غير قصد وإدراك تخبره عن شؤون خاصة بها:

ـ احتفظ زوجي السابق بكل الأثاث والممتلكات الأخرى ولم آخذ معي غير أغراضي الخاصة.

سألها برقة: «ألا تدافعين أبداً عن حقوقك؟»

ردت بهدوء: «على طريقتي الخاصة.. سيدي».

ـ لا يبدو لي هذا.. أخبريني كيف!

فكرت آغاتا قليلاً.. قد تكون فكرة صائبة.. وقد تكون إنذاراً له لئلا يتدخل بشؤونها.

ـ جمعت ثيابه الوسخة ورميتها على مكتب عشيقته التي كانت سكرتيرته..

تناهت إلى مسمعيها ضحكة حبور، فابتسمت للذكرى وأضافت:

ـ في اليوم التالي أوصلت لها الثياب التي تحتاج إلى كوي.. وأحد أغراضه الداخلية التي تحتاج إلى رتو.. وكان ذلك الضربة الأخيرة.

تمتم: «لدينا جميعاً أسراراً لا نحب أن يكتشفها أحد.. تعجبني طريقتك سيدة بروست.. عليّ ألا أغضبك».

ردت بجفاء: «أنت حكيم.. سيدي».

وهذا ما أطلق ضحكة أخرى.. كان صوتاً جميلاً عميقاً، خرجت الضحكة من أعماق قلبه وأغرق فيها بدون رادع.. تاقت إلى رؤية الفرق الذي يحدثه الضحك في وجهه. ترى كيف تبدو عيناه وفمه؟ لكن بسبب علمها بأنه يراقبها أبقت عينيها على الطريق.. جارد الفاتن أخطر من جارد الغضوب.

ـ إذن لا تملكين شيئاً خاصاً؟

ـ لدي نفسي.. وهذا ما كنت أملكه دوماً.. وهو ما أنا معتادة على امتلاكه ولكنني لا أحتاج إلى شفقة أحد.. متى عليّ أن أكون مستعدة غداً.. سيدي؟

ـ في الثانية عشرة والنصف.

استند إلى الوراء عندئذ شعرت آغاتا بالضغط على عقلها يخف.

شعرت بسعادة كبيرة لأنها ترتدي بنطلوناً وكنزة مرفوعة الياقة، وتقود السيارة إلى شقتها. سرعان ما ملأت «البنتلي» بحقائبها وأغراضها القليلة.. لم يكن أمامها الكثير لذا لم يطل الوقت قبل أن تعود مجدداً إلى «كينغزريتس».

ـ بحاجة إلى مساعدة؟

إنه «طرزان» وقد شاهدها تفتح صندوق السيارة، فجاء إليها بوجهه

www.rewity.com
gege86

الطفولي.

ابتسمت: «شكراً»..

أعطته حقيبتين.. ثم حملا معاً أغراضها فوضعاها في غرفة الجلوس.

انفتح باب المكتبة، وأحست آغاتا وكأنها تلميذة مذنبة تقف أمام الناظر الصارم. بدا لها جارد أخطر وأشدّ جاذبية بقميصه المرفوع الكمين.

سأل مقطباً:

ـ من يقف عند المدخل حارساً.. أليكس؟

ـ آه! أنا سيدي.

تورد وجه رجل الأمن حتى جذور شعره، وأحست آغاتا بأنه بحاجة إلى من يدافع عنه.

ـ إنها غلطتي سيد دونيمز فأنا من طلبت مساعدته.

كان جارد يتأمل ثيابها باهتمام صريح:

ـ كان عليك استدعائي أنا.. وكنت سأهتم بها.. سيسبب لك بعض السكان أليكس إزعاجاً كبيراً إن لم يحدوك عند الباب.

رمى اليكس الحقائب وارتد معتذراً: أنا آسف سيدي

قال جارد برقة لآغاتا:

ـ حذار منه.. إنه زير نساء.

يا لسلاطة لسانه! قالت بحماس: «سأحذر منه».

فليفهم مغزى كلمتها إن أراد! التقطت حقيبة ثم توقفت مرتبكة لأنها لا تعرف أين تذهب.. قرأ أفكارها كالعادة:

ـ ضعي هذه من يدك، وسأعرفك إلى المكان.. تعرفين غرفة الجلوس والمكتبة.. إنهما عالمي أنا، طبعاً مدخل غرفة النوم الرئيسية من الممر ومن المكتبة. مرة أخرى هذه لن تثير اهتمامك.. أليس كذلك؟

برقت عيناه بمكر، فردت بتركيز: أبداً.

ـ من هذا الممر هنا..

فتح باباً مصنوعاً من خشب الصنوبر.

ـ.. غرفة الطعام التي نادراً ما أستخدمها إلا إذا أقمت حفل استقبال.. وهنا.. المطبخ. وكما ترين، هو جيد. ولك أن تستخدميه لتناول الطعام.

ـ آه! شكراً لك.

نظر إليها بريبة: «هل تمازحينني مجدداً؟»

ـ لست واثقة.

أفلتت ضحكة مرحة من شفتيه.

ـ حذار سيدة بروست.. فقد أبدأ الإعجاب بك، وقد يكون ذلك كارثة لك.. الآن هاتان الغرفتان الإضافيتان ولكنهما لا تطلان على النهر كباقي الغرف، لكل منهما حمامه الخاص وهما كما ترين واسعتين بحيث يمكنك تخصيص جزء من الغرفة كغرفة جلوس لك.. فاختاري ما يناسبك منهما.

لا تفهم لماذا يسبب الإعجاب بها أية مشكلة لها. ألقت نظرة إلى كل غرفة.. فإذا هما مفروشتان بأثاث جميل، بلون مختار من البيج الشاحب أو الأزرق القاتم، واختارت الأزرق. ارتدت على عقبيها فاصطدمت بجارد الذي كان واقفاً خلفها مباشرة.

شهقت: آه! آسفة.

أمسك بها لوقت قصير، وشدها إلى جسده بشكل غريزي... أحست آغاتا بأن أصابعه تركت دمغة حارقة عليها.

قربها منه وتأثيره فيها والتوتر الذي يبعثه في نفسها هذا الرجل هو الذي جعلها غير قادرة على الحراك. حدّقت إليه من تحت أهدابها الثقيلة السوداء، فرأت تغييراً في تعابير وجهه وهذا ما أفقدها القدرة على النطق.. فجأة ذاب قناعه الساخر فشعرت بأن تحت هذا الدرع الساخر رجلاً مختلفاً تماماً عن هذا... على وجهه لطف وتوق يكادان يكونان

www.rewity.com
gege86

انعكاساً لمشاعرها العميقة. صدمها مظهره بحيث باتت غير قادرة على التنفس بسهولة.

قالت بأنفاس عميقة: «إنها حركة خرقاء سيدي».

أعادت كلماتها إليه طبيعته، فاشتد فمه بتجهم والتقط حقائبها التي رماها في غرفتها. تابعا بعد ذلك التحرك بصمت ثم انسحب جارد إلى مكتبته.. أغلقت آغاتا باب غرفتها، وجلست إلى حافة السرير مذهولة قليلاً من ردة فعله.. وفعلها. فهل كشفت له فراغ قلبها دون أن تدرك؟ وهل اكتشفت صدفة رجلاً وحيداً، حزيناً؟ أم لعل ذلك الحنان الذي رأته وهم أو انعكاس لحنانها؟ لم يسبق أن وثقت بغرائزها، وفكرة أن يجدها هذا الرجل الديناميكي جذابة هو تعجرف من جهتها!

خرج ذلك المساء مستقلاً سيارة أجرة.. ولم تعرف أغاتا متى عاد.. استيقظت بعد نوم عميق فدست رأسها بسعادة في الوسادة.. كان الفراش مريحاً بشكل لا يصدق.. أحست بالدلال لأنها تنعم بالعيش وسط هذا الترف.. كيف يعيش النصف الآخر من الناس؟ في محيط كهذا، قد تتحمل جارد دونيمز الماكر، مخدر النساء!

تدفقت شمس الخريف من شق في الستائر الدمشقية السميكة فأرسلت شعاع نور على أرض الغرفة.. تقلبت بكسل وأنزلت ساقيها المدبدتين عن حافة السرير وراحت تحرك أصابع قدميها بحبور على السجادة السميكة البيضاء.. بعد حمام سريع خرجت متوردة الوجه مشرقة. سرحت جدائلها بسرعة وارتدت سروالاً من الجينز المطاطي، وكنزة بيضاء.

خرجت حافية القدمين إلى المطبخ حيث تسمّرت واتسعت عيناها.

كان جارد واقفاً قرب الطباخ وهو لا يضع شيئاً سوى منشفة حول خصره..

قال بصوت أجش: «صباح الخير».

أدارت عينيها بعيداً عنه، وتمكنت من الرد: صباح الخير.

شرعت تقطع الخبز بتركيز.

قال برقة:

ـ من المذهل كيف تبدو المرأة مختلفة عندما تترك شعرها حراً.

ردت غاضبة من نفسها لأنها تبدو متزمتة رسمية:

ـ أتصور أنه استنتاج توصلت إليه بعد سنوات من البحث.

وضعت الخبز في الحمّاصة وسكبت لنفسها القهوة.. شعرت بأن جارد يراقب كل حركاتها فقابلت نظرته العميقة بغضب.

قال: يجب ألا تصدقي الشائعات.. فعواطفي قوية وعميقة بحيث لا أضيعها على علاقات عابرة.

ـ حقاً؟

لم تكن مهتمة.. ولا تريد أن تسمع شيئاً عن عواطفه.

نظرت إليه نظرة تحذير ساخطة، فلوى فمه ثم أخذ صحيفة من كومة صحف ودفع الباقي لها.

وضعت الزبدة على التوست ببطء، ثم مدت يدها لتختار صحيفتها المفضلة.. لا شك أنه يشتري كل الصحف والمجلات.. وجدت صعوبة في فهم العناوين الرئيسية أو الخبر الرئيسي بسبب وجود جارد.

فاجأها لأنه أمسك خصلة من شعرها المتدفق على وجهها ورماها إلى الخلف. امتدت سبابته إلى بضع خصلات أخرى دسّها خلف أذنها الصغيرة. فأحست آغاتا باندفاع لا وصف له جعل أنفاسها تتسارع.. اللعنة عليه وعلى يديه الخبيرتين!

قال بهدوء:

ـ اعذريني سيدة بروست.. ولكنني أحب أن أرى وجوه الناس.

ـ هذا واضح.

مدت يدها تعقص شعرها إلى الوراء.. فتحولت عيناه إلى عنقها الذي كشفته الحركة فتوردت مجدداً.

www.rewity.com
gege86

سأل: «هل نمت نوماً عميقاً؟»

ـ نعم نمت نوماً عميقاً.

ـ إذن أعجبك السرير على الأقل.. أتظنين أنك باقية أم من المبكر القول؟

ردت بوجه متجمد:

ـ هذا وقف عليك.

ـ أتقصدين وقف على تصرفي؟ أم وقف على ما إذا كنت أجدك مرضية؟

عرق كفّاها الغبيان بسبب صوته الأجش.. ولكنها شعرت بالغضب بسبب عجرفته.. فقالت ببرود:

ـ بل على ما إذا كانت علاقتنا ستقتصر على العمل.

لن تكرر غلطتها مع يوريس، ولن تقع في حب الرجل الذي تعمل عنده.. لن تكون غبية ثانية.

التوى فمه الساخر بسبب ردها البارد.

ـ هذا بدون شك صدّ محترم لم أتلق مثله حتى الآن. على أي حال، إذا توقعت أن أعاملك كرجل آلي خارج أوقات العمل فارتدي ثياباً محتشمة. لأنني أجد الحركات تحت كنزة ضيقة رقيقة أكثر من أن أحتملها عن قرب.

ابتعدت عيناه عنها، لكن ليس قبل أن يلقي نظرة عليها دفعت الدم حاراً في جسدها. لعنته بينها وبين نفسها.. لقد كانت حمقاء لأنها ظنت أنه لن ينتبه لها إذ لا يفوت عينيه شيء.. إنه أكثر حيوية من كل الرجال الذين قابلتهم.

قالت بسرعة: «سأغير ثيابي حالاً».

أمسك ذراعها:

ـ لا.. انهي فطورك. أكره أن يضيع الطعام سدى.. كلي! وحافظي

على شعرك مرتباً في المستقبل.

أنهت فطورها بصمت ثم حملت الأطباق إلى المغسلة.. فقال بدون أن يرفع رأسه:

ـ غسالة الصحون قرب جنبك الأيسر.

وجدت باب الغسالة فوضعت أطباقها وأدوات الطعام قبل أن تخرج ببطء.

في الأسابيع التالية ألّف توتر ملموس نوعاً من الصلة بينهما.. في بعض الأوقات أثار أعصابها بقسوة وصراحة بأشياء لا تتوقعها. لكنها حاولت التكيف معه بمرح ثابت وبتفهم، فعمله يستنزف طاقاته ولا يترك له غير القليل من القوة الجسدية للقيام ببعض الأعمال الاجتماعية.

لم يكن يتزود بالطاقة إلا قليلاً فهو يستيقظ مع الفجر ليسمع الأخبار ثم يخطط لرسمته الكاريكتيرية.. ويعمل حتى في أوقات الطعام ليفي بالمواعيد المحددة.. يتقبل الدعوات ليلقي كلمة في حفلات العشاء، ولا يصل إلى البيت إلا في ساعات متأخرة. كيف يقدر على الاستمرار؟ هذا ما لا تعرفه، ولكن لا شك أن شيطاناً ما يدفعه.. أحست بنوع من المسؤولية عن هذا الرجل الذي يجسد الطاقة والذي يدفع نفسه بقسوة.. إنها مسؤولية تأمين محيط هادىء له.

كان لقاؤها بزملائه في مجلة «إن سايت» تجربة فريدة لها. كانت تحاول تحضير وجبة طعام لنفسها حين اقتحموا الشقة بدون توقع، فقلبوا المطبخ رأساً على عقب وهم يسخنون السمك والبطاطا.

قال رجل أنيق:

ـ أنت تتكتم كثيراً بشأن من تساكن.. أيها المجرم!

نظرت أغاثا إلى جارد نظرة تسلية.. كم يناسبه لقب المجرم!

قالت: «أنا سائقة السيد دونيمز».

وسرعان ما أصبحت محط اهتمام الجميع ومزاحهم. فضحك جارد:

www.rewity.com
gege86

ـ توقفوا عن هذا أيها القذرين.. ولا تجرؤوا على إخافتها لئلا تهرب! إنها لؤلؤة بين الخنازير.. ولا ينطبق عليها هذا أكثر من الآن.

سخرت صيحات فظة أخرى من جارد هذه المرة. ثم خاطبها الرجل الأنيق:

ـ عزيزتي.. إذا كان هذا المجرم يمدحك، فأنت إذن امرأة نادرة حقاً.. لأنها المرة الأولى التي أسمعه يقول شيئاً لطيفاً عن أي كان.. خذي بعض البطاطا المقلية.

قالت آغاثا بحرارة: شكراً لك.

كانت المجموعة كلها تدور حول جارد وكانوا جميعاً يعودون إليه بالرأي.. ينظرون بسرعة إليه ليروا ما هي استجابته لنكاتهم.. بعد وقت ولأنهم رفضوا أن تذهب، ازداد وعيها أكثر فأكثر بجاذبية جارد وأخذ قلبها يخفق بسرعة حين أدركت أنه يتساهل معهم من أجلها. وسط هذا الجنون كله والضحك كانت عيونهما تتلاقى عبر الطاولة فتشعر بأن صمتاً ثقيلاً يثقل الجوّ ويجمد وجه جارد، ثم تضطر إلى أن تغض طرفها لأنها تشعر بأنها غير قادرة على احتمال الشره والمعاني في نظرته الجادة.

كانت متعبة عاطفياً عندما خرجوا في السادسة مساء.. لكنها تمكنت من إلهاء نفسها بمسلسل تلفزيوني.. أما جارد فلم يعد إلى المنزل قبل الفجر. استيقظت في السابعة والنصف وهي تتساءل أتوقظه أم تتركه نائماً.. فبعد ساعة عليهما الذهاب إلى المزرعة وهي متوترة قليلاً لأنها توشك أن تقابل عائلته.

توقفت قليلاً وهي ترتدي البزة الرسمية.. لقد كان متوتراً كذلك. منذ يومين، أمضيا بعد ظهر رهيب في محل للألعاب وهم يختاران هدايا لابنته.. وبدل أن يفرحه الأمر وجدته متوتراً وصعُب التعامل معه.. وكأنه يخشى ألا يرضي ببرنا.. أمضت معظم وقتها وجهدها في طمأنته وفي التأكيد له أن خياراته صائبة.. بدت لها علاقته بابنته غريبة كثيراً.

هذا الصباح استيقظ جارد وهو يشكو من صداع أليم.. وأمضى معظم الرحلة إلى المزرعة وهو يخفي وجهه عنها وراء صحف الصباح، الأمر الذي لن يساعده على الشفاء.

في مكان غير بعيد عن «سكاتيس هيل» ارتدّ نحو طريق ريفية ملتوية مسافة ميلين تقريباً، قبل الدخول عبر بوابات حديدية مزخرفة ضخمة.. في الواقع، اكتشفت آغاثا أن ثروة العائلة تعود إلى معامل الحديد التي ابتلعت عدداً كبيراً من أراضي الغابات القديمة في «سوسكس ويلد».

ابتسمت عندما تذكرت كيف تصورت المزرعة.. بالتأكيد ما تصورته أبعد ما يكون عن هذا! كانت مزرعة «ماريونز» مبنى جميل أنيق من الحجر الرملي الذهبي الدافىء اللون، أعمدته حجرية ومصابيحه معلقة في النوافذ. وكانت ألواح ضخمة من حجر هورشام تزين السقف..

توقفت السيارة في الممر الداخلي إلى يمين آغاثا بين حدائق رسمية رائعة.

قال جارد بصوت أجش:

ـ من الأفضل أن تدخلي لتقابلي الجميع.

كانت القاعة الكبرى دافئة حميمة تتأجج في موقدها الحجرية نار ترمي ظلالها على الأرض الخشبية المزخرفة. قال صوت لطيف إلى يمينها:

ـ يا إلهي.. أخيراً وجد مجرم السكاكين الكولومبي لنفسه امرأة محترمة.

رد جارد بحدة: «مضحك جداً».

ابتسمت آغاثا بأدب للرجل الأشقر الذي لم تغرّها عيناه الرماديتان كما يفعل جارد عادة.

ـ هذا أخي ايلياس ماريونز.

صاح ايلياس:

ـ لست أخاك! ولن أعترف بأي رابط دم بيننا.

www.rewity.com
gege86

قال جارد بعدم اكتراث:

ـ اعترفت أم لم تعترف.. فالرابط موجود.. ايلياس، هذه السيدة بروست، سائقتي.

صافحت آغاتا ايلياس بارتباك.. ما الذي يجري هنا؟

ضحك ايلياس: «سائقة.. إيه؟ أعطيك مطلق الحرية لتقوديني إلى الجنوب في أي وقت».

صاح جارد: «ستبقي عينيك ويديك بعيدين عنها».

يتصرف الأخوان ككلبين متصارعين.. وهذا أمر غير طبيعي.

قال ايلياس بتحدٍ: «سأفعل ما أشاء».

ـ ليس مع السيدة بروست.. لن أسمح لك.

كان يتكلم بهدوء شديد فاضطر ايلياس للانحناء إلى الأمام ليسمع.. إنه يحب السيطرة على الناس وإرباكهم.

أضاف: «إنها موظفة عندي.. ندعها وشأنها وإلا وقعت في متاعب».

ارتفع حاجبا ايلياس بذهول ساخر:

ـ وهل لديك اهتمام شخصي بها؟

ـ لا!

ارتد رأسه إلى الوراء قليلاً فإذا نور النار يتلاعب على عظام وجنتيه المرتفعين، وعلى شعره الأسود الكحلي.. رأت في اتساع فتحتي أنفه شيء بدائي. وقف ويداه على خصره.. واشتمت آغاتا رائحة الخطر.. إنه غاضب بشكل غريب.. فلم ترَ قط فمه المثير يلتوي هكذا أو هذا الانقاد في عينيه.

قال إيلياس بلهجة ذات مغزى:

ـ بكل تأكيد.. لن تعترض أنت على الأخص على اتخاذ أحد أفراد أسرة ماريونز لموظفة؟

سحب جارد نفساً عميقاً فارتد إيلياس بقلق وكأنه يتلاعب مع الموت.. لماذا جارد غاضب؟

صاحت بهما شقراء طويلة في الخمسين من عمرها:

ـ آه! يا الله! هل بدأتما الخصام؟ جارد، حبيبي ما أروع رؤيتك.. لكن الجو يصبح حاراً حيث تكون.

قبلته على خديه.. فرد ساخطاً:

ـ ينمتع إيلي بإثارتي.. كما تعرفين.

قاطعه إيلياس:

ـ أمي.. تعرفي إلى السيدة بروست.. هذه كلارا ماريونز.. أمي.

إذن والدة إيلياس لا تكره مثله جارد! صافحت آغاتا يد المرأة بحرارة، تتساءل كيف استطاع جارد أن يكسب زوجة أبيه. لا شك أنه استخدم ذلك السحر المذهل الذي يحتفظ به لمناسبات خاصة.. عرفت آغاتا أن كلارا صادقة وصريحة. تبادلنا الابتسامات وكانت آغاتا تحاول جاهدة فهم علاقة الأسرة بعضها بعض. الواضح أن كلارا تزوجت والد جارد وأن إيلياس وجاي ولداها من أبيه.. لكن إيلياس ادعى أن جارد ليس أخاه! هذا كله أمر غريب.

قالت كلارا مترددة:

ـ لم نتوقعك هذا الأسبوع، خاصة وأن جاي مددت الإجازة مرة أخرى.

جمد جارد وابيضّ وجهه.

قالت كلارا بقلق:

ـ آه! يا إلهي.. لكنك تعرف.. طلبت من إيلي أن..

رفعت يدها إلى فمها أما جارد فارتد إلى إيلياس بغضب.

قال والغضب والشر في عينيه:

ـ أيها النذل..! تعرف أنت وجاي كيف تتمتعان بإغاظتي.. أليس

www.rewity.com
gege86

كذلك؟ أنت تعرف أنني لا أستطيع المجيء في نهاية الأسبوع القادم بسبب حفلة عرض الأزياء الخيرية.

قال إيلياس بعدم اكتراث: «آسف.. نسيت».

ـ لم تنس أيها الحقير الحاقد!

ارتجفت آغاتا بسبب الحقد في صوته فقالت ببؤس:

ـ هلا أرشدني أحد إلى غرفتي!

إنها تكره الخصام، والأخوان على ما يبدو على وشك القتال ولكنها لا تريد أن يكون لها شأن مع أي منهما.

قال جارد بجفاء: «سأرشدك بنفسي».

صاح إيلياس: «الزم حدودك، فأنا المضيف هنا.. يجب أن تتذكر أنه منزلي أنا.. وأنك ضيف فيه، جارد دونيمز! أنا وريث أسرة ماريونز وأنا الذي أملك المكان».

أصبحت الغرفة باردة بالصمت المميت الذي أعقب كلماته. برقت عينا جارد الفحميتان في وجه أبيض جاف. وكشفت آغاتا أنفاسها بسبب تعابير وجهه الشريرة الصرفة.

قال هامساً والعنف يرجّ أعماقه.

ـ تملك المكان بالتأكيد.. لكن لا تنس أبداً أن والدنا أراد أن يورثني المزرعة.. يورثني إياها لأنه أحب أمي! لدي الحق الأخلاقي في أن أكون هنا، في هذا المنزل.. أما أنت فلديك الحق القانوني فقط.. تذكر هذا في المرة القادمة التي تحاول فيها طردي منه.

***

٣ ـ كي لا تنسيني!

في النهاية كلارا هي من صحبت آغاتا إلى منزل السائق، وهناك اعتذرت منها عن المشهد الذي جرى. ولكنها كانت مشغولة البال فالواضح أنها ملهوفة للعودة إلى المنزل خشية أن يعود الأخوان إلى الخصام.. طالما استغربت آغاتا تخاصم العائلات.. إنهما محظوظان، ما أكثر ما رغبت أن تكون جزءاً من عائلة حقيقية.. ولكن هذه العائلة مشحونة بالبغضاء والغيبة وبألغاز لا تفسير لها.. ما أفظع تصرف إيلياس فكيف يسخر من خسارة جارد لأرضه. لعل مرد ذلك إلى أن جارد ولد غير شرعي، لكن لن يدهشها أبداً إن علمت أن إيلياس كان عرضة لنجهمات جارد في الماضي.. فمن الصعب على غريب أن يعرف من بدأ هذا الخصام الشنيع.

أفرغت حقيبتها الصغيرة عابسة.. ما دام والد جارد أراد فعلاً أن يورثه مزرعة ماريونز فلماذا لم يذكر هذا في وصيته؟ كان بإمكانه ترك المكان لمن يشاء.. تسمرت بداها وهي تطوي كنزة.. قد يكون جارد كاذباً.. أو لعله لم يرد الاعتناء بكلارا وبسائر أفراد الأسرة... قد.. لعل..

ابتسمت بقلق.. فما جدوى التكهن والتخمين.. عليها بدل هذا أن تستمتع بنهاية الأسبوع في الريف.

كان منزل السائق بسيطاً، جدرانه من الحجر الجيري المطلي بالأبيض والمكسو باللبلاب المعترش.. من الداخل حاولوا المحافظة على طرازه

www.rewity.com
gege86

الأصلي، أما الأرض القرميدية فبدت رائعة في غرفة الجلوس. بعدما أفرغت حقيبتها أعدّت فنجان شاي لتجنب نفسها التفكير في لغز هذه العائلة.. مع ذلك، هي بحاجة إلى فهم تيارات الغيرة المتوارية وخصام الأخوة ما دامت سائقة لهم جميعاً.. إن هذا يعني أنها ستتحدث إلى أحد الخدم حين تسنح لها الفرصة.. فمن الواضح أن الإرث هو أساس الخلاف.

سمعت طرقاً على الباب ثم أطل منه رأس أشقر الشعر.

ـ سيدة بروست؟ هل كل شيء على ما يرام؟

ـ سيد ماريونز! أجل.. تفضل أرجوك.

ـ إيلي.. أريد منك أن تناديني إيلي.

ـ حسناً..

ـ أرجوك، أنت آغاتا كما فهمت؟ الرسميات مناسبة للأنذال المتعجرفين أمثال جارد.. لكن ليس لي.

ـ أنا.. إنها أمر عادي في لندن.

ـ أعرف.. أعرف.. مع ذلك فهذا غباء في أيامنا هذه. هل تعدين الشاي؟ أحب أن أحتسي بعضاً منه.

عبست لأنها تتحدى أوامر جارد: آه! أجل.

ـ إنه لا يتغير! لا أدري كيف تعملين عند هذا النذل.

قالت بسرعة وهي تحضر الفناجين:

ـ أستمتع بعملي.. عانى اليوم من صداع رهيب.

ـ تختلقين له الأعذار؟ أنت موالية له إذن.. عادة يصاب بالصداع حين يأتي إلى هنا.. فهو يكره رؤيتي لأنني المالك.. هل أنت عابسة لأنني أهاجم رب عملك أم لأنك لا تعرفين عما أتحدث؟

ـ لكلا الأمرين.. في الواقع. فأنا لا أفهم لماذا هو الأخ الأكبر ولماذا ترث أنت إرث أبيك.

رد بغضب: إنه ليس أخي..! ولا يقربني أبداً!

ـ لكن..

ـ اسمعي تاريخ العائلة.. اتخذ جداي خادمة كولومبية تدعى بيرديتا.. كانت لعوبة ماكرة ووقع والدي في حبائلها المثيرة ولكنها طردت بسبب الطريقة التي كانت تفسده بها.. فيما بعد عادت مع طفلها.. جارد مدعية أنه طفل أبي. في ذلك الوقت كان أبي متزوجاً بأمي كلارا.

ـ ولماذا أنت واثق أنه ليس أخاك؟

ـ عرف جذاي أن بيرديتا كانت تعاشر نصف الخدم، هذا عدا ما فعلته بعدما تركت العمل هنا. أرادت فقط إيجاد معيل لها ولطفلها.. ولكن ذلك لم يجدها نفعاً فأخذت تحمله إلى هنا مرة بعد مرة ولم تستسلم. كان طفلاً متوحشاً.. لا يشبه أبي أبداً. أذكر نوبات غضبه.. فحذار منه آغاتا! إنه خطير مهلك.. غير عادي.. شخص لا يطاق، وعدو لعين.. أعرف هذا.. فلدي ندوب تثبت ذلك.

تعاظمت الشفقة في نفسها.. تذكر أن جارد أخبرها أن والده لم يكن يريده.. فكيف نشأ يا ترى كونه ابناً غير شرعي لامرأة مثل بيرديتا ليس لديها من يعيلها؟ لا تستغرب أن يعتمل في نفسه ذاك القدر من المرارة، ولكنه الآن ثري.. وعرفت أنه اكتسب ثروته بأصعب الطرق، بالقسوة والعزم.

سألت: أما زالت أمه على قيد الحياة؟

ـ أجل.. وما زالت شريرة كما كانت.. لكنها ليست في هذه البلاد.. والحمد لله على هذا. عادت بيرديتا إلى «بوغوتا» بعد موت والدي.. لا تشفقي على أي منهما آغاتا.. فقد طاردا عائلتي بدون شفقة أو رحمة. ولقد أظهر جارد انفعالاً شديداً في جنازة أبي بدون سبب إطلاقاً.. واحتاج إلى عاملين من عمال المزرعة الأقوياء لتهدئة روعه.

صمتت آغاتا.. بدت لها القصة معقولة، كما رواها إيلياس.. ولكن

www.rewity.com
gege86

في قصته ما لم تهضمه معدتها. نعم لا تنكر أن جارد رجل صعب المراس.. وأن إيلياس سهل المعشر.. ومن المستحيل التصديق بأن القصة غير حقيقية.. ولكن لماذا هذا الطعم الكريه في فمها؟

قال إيلياس وهو يمسك بيدها:

ـ واضح أنك لم تري جارد وهو غاضب وآمل ألا تريه.. فعندئذ ستشعرين بأنك في طريق إعصار.. إنه يطلق عقال حسده القذر ومرارته على كل من تصل إليه يده.. وهذا شيء صعب.. أترين، أنا غير حقود مثله.. لكن حذار منه.

انفتح الباب فجأة ودخل جارد العاصف فوقف في الباب.

ـ اعتقدت أنني سأجدك هنا إيلياس.. أعيدي توضيب أغراضك سيدة بروست.. سنعود إلى لندن، فلا شيء يدعونا للبقاء هنا.

نظر عامداً إلى يد إيلياس الممسكة بيد آغاتا. فشدت يدها بتوتر ولكن إيلياس أطبق قبضته وبدأ يقول:

ـ تتصرف بشكل سخيف..

ـ السيدة بروست موظفة عندي.. أتركها ولا تتدخل في هذا.

وأدار عينيه الشرستين إليها.

شعرت بالضيق لأن إيلياس يتعمد التمسك بها لإزعاج أخيه. انتزعت يدها وبدأت تجمع أغراضها، ثم حملت فنجانها إلى المغسلة.

قال إيلياس بهدوء:

ـ سأتوب عنك.. وسأنظف المكان.. من الأفضل أن تذهبي قبل أن يجلدك على عصبانك.

نظرت إلى وجه جارد المتجهم، وردت: «شكراً لك».

فقال بجرأة:

ـ أراك نهاية الأسبوع القادم حين تعود بيرتا.. آه! لن تستطيعا المجيء.. أليس كذلك؟

صدمها العذاب الذي رأته في عيني جارد.. ثم تساءلت ما إذا تخيلت ما رأت.

قال بقسوة:

ـ حذار إيلياس.. أنت لا تريد أن ينتهي بك المطاف ممدداً على ظهرك ووجهك مضمّد.

مرر أصابعه على الندب في أعلى خده.

ـ لدي دين أو اثنين، لم تدفعهما لي بعد.

قالت آغاتا بإشراق:

ـ أنا مستعدة.. وداعاً إيلياس.

تحركت نحو الباب.. فالتوى فم جارد بسخرية ثم ارتدّ على عقبيه، وتنهدت آغاتا براحة.

مر الأسبوع بهدوء مدهش.. في البداية، لم ترَ جارد في غير أوقات الطعام القصيرة فقد أغلق على نفسه مكتبته، وعمل بجهد وعزلة. عرفت آغاتا لماذا هو ساخر في رسوماته.. فهو يكفكف عن حسده وخيبة أمله.. فمن الصعب أن يُنبذ المرء من أبويه.. وهذا ما تعرفه جيداً فلم يطالب أحد من أبويها بها.. ومع أنها تفهم فراغه وتدرك أنه تعلم المرارة من صدر أمه، إلا أن تصرفه قلل من شأنه في نظرها. أحست ببؤس غريب لأن الرجل الذي بدأت تكن له في نفسها شيئاً من الإعجاب له قدمين من طين.

لكن بعد يومين من هذا، عوّض عن تصرفه السيء في المزرعة بأن عاملها بلطف وفتنة حتى آخر الأسبوع.. وهذا كان أشد سوءاً.. فعيونهما ظلت تتلاقى مرات ومرات بصمت متوتر مليء بالمغازي.. كان يسألها رأيها دائماً، ويصغي بجد إلى ردودها الجادة. وكان ينجاوب معها حتى اقتادها إلى الاعتقاد بأنه فعلاً رقيق، ضعيف تحت تلك الغلالة الواثقة الساخرة الناقدة التي يظهرها للعالم.

عندما أخبرها أن خططه في نهاية الأسبوع لا تشملها في شيء،

www.rewity.com
gege86

ارتاعت من خيبة الأمل.

ـ لن أحتاجك بدءاً من الساعة الرابعة من بعد ظهر الجمعة، حتى صباح الاثنين.. ستستقلين سيارة تابعة للأمم المتحدة لمهرجان اليونيسف الدولي. في كل سنة أكتب مسرحية كوميدية لحفلهم الخيري. سيكون ذلك ليلة الجمعة.. أما السبت فسأكون في «هانشارد» أشرف على رسوماتي الكاريكاتورية التي ستباع في المزاد العلني.. يوم الأحد سأقدم العون في استقبال بعض العاملين في اليونيسف وسأعمل على تسليتهم كمربون شكر من اللجنة. لك أن تستخدمي السيارة كما يحلو لك، قومي برحلة إذا أردت.

سألت: «ألا أستطيع مرافقتك لأرى شيئاً من هذا النشاط؟»

استقرت عيناه عليها بتعبير جامد:

ـ لا.. لكن إن بقيت عندي حتى السنة القادمة فسأشتري لك تذكرة.. أما في هذه السنة فالوقت متأخر.. فالأماكن جميعها محجوزة. هل أنت حقاً مهتمة بهذا؟

ـ كثيراً.. وآمل أن أكون معك في السنة القادمة.. أحب أن أرى المسرحية وكلّ ما سواها.. يبدو لي الأمر رائعاً.

أصابتها بدوار بسمته التي أضاءت وجهه الأسمر القاتم.. وسرت طعنة مؤلمة من جاذبيته في كيانها.. عندما يكون سعيداً يصبح شخصاً لا يُقاوم أبداً إذ يبدو عندئذ وسيماً بشكل ساحق وخطيراً على توازنها.

مساء الجمعة، وجدت نفسها وحيدة بشكل غريب. عندما رن جرس الهاتف ابتسمت..

ـ مرحباً.. أنا إيلياس.

ـ آه! مرحباً!

إنها تشعر بالخيبة، اعتقدت أن المتصل جارد الذي تشعر بأنها بحاجة إليه.

ـ اكتشفت للتو أن جارد غير موجود.. هل لديك خطط معينة؟

ردت كئيبة:

ـ لا. أفكر في غسل شعري وفي أشياء كهذه.

ـ يا إلهي! لماذا لا تأتين هنا؟ تعالي لتتعرفي إلى العائلة بشكل غير رسمي وإلى بيرتا على الأخص. يجب أن تتعرفي إليها ما دمت ستقومين على إيصالها من مكان لآخر.. إنها فرصة رائعة بعيداً عن وجود جارد الذي يستولي على وقتها.. وقد تخاف أن تقود السيارة بها امرأة غريبة عنها. أضيفي إلى هذا، أننا أنا وكلارا نحب رؤيتك.. انزلي علينا ضيفة.

ـ أنا.. لا أظن..

بدا وكأنه يضحك ولكنه لم يقاطعها:

ـ وهل أصدر إليك أمراً؟ في غياب جارد، أنا رئيسك... أرجوك إنه أمر معقول.

ـ أجل هذا صحيح.

قد يدخل هذا السرور إلى قلبها ويُظهر لها أن لشعورها بالخسارة علاقة بالوحدة لا بشيء آخر.. فكان أن وافقت وتركت مذكرة لجارد الذي قال إنه لا يعرف متى يعود بالتحديد يوم الأحد.

كانت جاي نحيلة كإيلياس وشقراء أما زوجها براين فهو قصير، مكتنز الجسد، يميل إلى الجد وهو كما قال جارد مشغول كثيراً بالمزرعة.. وكانت جاي مضيفة ممتازة إذ استقبلت آغاتا بحرارة.. أما بيرتا فهي سمراء كأبيها وشعرها الأسود أملس كشعر أبيها، وبدت مثله لا تستهوي الغرباء بسرعة.. كانت كئيبة فراحت جاي تعتذر من الصغيرة لأن جارد لم يستقبلهم لدى عودتهم من العطلة، ولكن وجه بيرتا ازداد غضباً وتجهماً.. عندئذ شرعت آغاتا تشرح لها بأن جارد يعمل لمساعدة الأطفال المساكين.. لكن جاي قاطعتها فجأة وعلقت قائلة إن موعد نوم بيرتا قد أزف.

www.rewity.com
gege86

يوماً ما، عندما تتعرف إلى العائلة قليلاً، سأسأل لماذا تعتني جاي بابنة جارد؟

مرت نهاية الأسبوع على خير، وكان إيلياس لطيفاً. أخيراً، وبعد جهد أقنع جاي بالموافقة على أن يصطحب بيرتا وآغاثا في نزهة. وجدت آغاثا في سرها أن جاي تبالغ في حماية الطفلة.

ساعدت آغاثا بيرتا على صنع قوارب من ورق مشمّع وعلى إرسالها مبحرة فوق مياه البحيرة القابعة في أسفل الوادي. أما إيلياس فمارس عبثه بانطلاق حتى أضحكها.. في المساء لعبا الورق في منزل السائق.. كان كل شيء مرضياً.

أمضت يوم الأحد بصحبة إيلياس وحده تقريباً، وقد أراها المزرعة.. بعد الغداء تصرف معها إيلياس بجرأة نوعاً ما.. كانت واقفة إلى المغسلة ويداها في ماء الصابون ولم تستطع منعه من التخلي عن المنشفة ووضع يديه على خصرها.

سرعان ما تذكرت كلمات جارد:

ـ لا تقم بهذا.. أرجوك.

قال بصوت حزين:

ـ لا أقدر على منع نفسي.. أنت مغرية كثيراً.

وطبع قبلة على أسفل شعرها فانتفضت ونفضت الصابون عن يديها وحاولت إبعاده عنها.. فقال بصوت منخفض:

ـ لا أريد إخافتك آغاثا. أريد فقط أن تعلمي أنني أراك رائعة.. فتاة من مليون.

ذهلت: «إيليا..!»

ضحك:

ـ أعرف.. الوقت مبكر على هذا التصريح.. حسناً.. ولكنك تعرفين الآن ما أشعر به.. إنما فلننس الأمر.. هل أعجبتك المزرعة؟

دفئت عينا آغاثا:

ـ جداً.. إنها جميلة. حلمت في طفولتي أن أعيش في مزرعة لأنني أحب الريف.. ففيه لا تخشى الخروج بمفردك لتتمشى، فكل ما حولك مألوف وهو ليس كالسير في لندن..

ـ يسرني إعجابك بها.. وأرجو أن تقضي وقتاً طويلاً هنا.

ران صمت مرتبك لأن كلماته تحمل معنى أكثر مما فهمته.. ولكن رنين الهاتف أنقذها..

تناهى إلى مسمعيها صوت جارد الغاضب العاصف حتى عبر الهاتف:

ـ أحتاج إليك هنا.

اقشعر شعر عنق آغاثا.. إنه تصرف مثالي من قبله! لم يعتذر لأنه قطع عطلة الأسبوع!

أضاف مجدداً: أما زلت على الهاتف؟

ـ أجل سيدي. حالاً؟

ـ أجل.. قلت لك إنك ستعملين عندي في ساعات غير عادية، لذا لا أسألك عملاً لم توافقي عليه سلفاً. أعتقد أنك تسلين إيلياس.. أعطيني إياه.

ناقت إلى غسله بكلمات تعلمتها من بنات وبنين ترعرعت معهم.. ولكنها تركت الهاتف وتوجهت إلى غرفتها لتجمع أغراضها.. هذا التصرف الفظ تكرار لما حدث في آخر مرة في المزرعة.. فإن دأب على مثل هذه الفظاظة كلما تصادقت مع إيلياس يجب أن تذكر له أنه تافه وضيق الأفق.. فهذا الجزء في شخصيته لا تحب رؤيته.. التكبر المقيت كلما اختلطت بالناس غير جدير بالاحترام.

عندما وصلت لم تجد غضب جارد قد خفّ فقبل أن تطفىء المحرك خرج من أبواب مبنى الشقق ورمى نفسه في المقعد الخلفي وقال بحدة: «انطلقي».

www.rewity.com
gege86

سألت برقة: إلى أين.. سيدي؟

ـ إلى أي مكان.. انطلقي فقط.

أمسكت لسانها وأطاعته وهي تأمل من أجله هو، أن يكون لديه عذر جيد لدفعها إلى اجتياز كل تلك المسافة وصولاً إلى لندن. أفَعَل ذلك من أجل إغاظة أخيه أم من أجل التنزه بالسيارة؟ لو كان أحد غيره لقادته إلى مكان هادىء، قرب النهر ربما أو إلى أحد المنتزهات. أما هو، فاختارت له قلب لندن وبذلت جهدها لتعلق في ازدحام السير.

ـ حسناً سيدة بروست.. مضحك جداً.. والآن قودي السيارة إلى «هايد بارك» وأنزليني في رأس شارع «رونتن رد» لأنني أريد السير فيه.

جلست في السيارة تراقبه وهو يسير بخطوات طويلة متوحشة.. حتى من حيث هي جالسة رأت أنه ما زال يغلي من الداخل.. ثمة ما جعله غاضباً غضباً شديداً، وهذا لا ينذر بخير.

بعدما أوقفت السيارة في الجهة الأخرى من الشارع وترجلت للبحث عنه، وجدت أن نفاد صبرها وتوترها بسبب غضبه ينقلبان شفقة.. فليست الغلطة غلطته لأنه لا يعرف كيف يكون لطيفاً مع الناس، فلم يسبق أن عومل بلطف من قبل أحد تقريباً.. فجأة وقفت.. كان جارد جالساً على مقعد يميل إلى الأمام، كئيباً، كئيباً.. عندئذ طغت على قلبها موجة شفقة.

قالت برقة وهي تقف إلى جانب الرجل الكئيب: سيد دونيمز.

رفع رأسه مجفلاً.. وقال بهدوء:

ـ أرجوك.. اجلسي، سيدة بروست.

بدا أنه يتقاتل مع نفسه، وكأنما انتقاء الكلمات أمر صعب.. أو ربما لم يكن واثقاً ما إذا كان يعبر عما في فكره.

استقرت عينا آغاتا عليه بتساؤل.

ثم ارتفعت الكتفان العريضتان وهبطتا قبل أن يتراجع إلى الوراء

مسنداً جسمه إلى ظهر المقعد الخشبي:

ـ هناك ما يجب أن أحذرك منه.. لا أريد قول هذا، ولكنني أريد أن تدركي.. يا للجحيم!

حدّق إلى الفضاء بصمت: أيعجبك.. أخي؟

ـ أجل.. وجدته لطيفاً.

وضع يديه على كتفيها وأدارها لتواجهه، فارتطمت ركبتاهما.. خفق قلب آغاتا بشدة لأنها وعت بكل جارحة من جوارحها القوة التي يولدها جسده. قاومت شده لها وحاولت التراجع إلى الوراء.. لكن أصابعه حفرت في كتفيها فأسرتها.

قال ببساطة: «إنه ليس لطيفاً.. انظري إلي.. انظري!»

رفعت عينيها فرأت الغضب والألم على وجهه.. وشيء آخر.. شيء لا يمكن وصفه.

قال بصوت ناعم منخفض:

ـ لم أظنّ أنه سيصل إليك بهذه السرعة عندما اقترحت عليك القيام بنزهة لم أكن أقصد الذهاب إلى مزرعة ماريبورز!

ردت آغاتا: بدت لي فرصة ملائمة للتعرف إلى بيرنا.

أجفلها إجفاله:

ـ فكر إيلياس..

قاطعها بمرارة: «إيلياس؟ كل ما يريده إيلياس هو زوجة.. ولا يهم بالضبط كيف تكون ما دامت مقبولة بشكل لائق».

أسقمتها كلماته، فأشاحت بوجهها بعيداً.. ولكنه مد يده وأمسك ذقنها بقسوة ليجبرها على النظر إلى وجهه.

ـ أعرف أنه أمر لا يُصدق.. فإن لم تحذري منه، فقد تتزوجين برجل لا يحبك. وهذا ما لن أسمح به.. إذا هاجمك بقوة.. فقاوميه.. مفهوم؟

ـ مفهوم تماماً.. سيدي.. لكنك تتخيل الأشياء.

www.rewity.com
gege86

ـ الغزل؟ مسك الأبدي؟ لينتي لم أوظف امرأة.

أغمضت عينيها قليلاً لأنها لم تفهم شيئاً: سيد دونيمز..

نظرت إليه بصدق:

ـ لا أهتم من قريب أو بعيد بالرجال. سبق أن جرحني أحدهم.. لذا أرفض المرور بالعذاب مجدداً.. جلّ ما أريد هو القيام بعملي على أتمّ وجه.. أنا سائقتك، وهذا بالضبط ما هي عليه صلتي بسائر أفراد عائلتك.

ارتعشت يده وهي تتكلم، لكنها لم تترك ذقنها ثم سأل برقّة:

ـ أنت تحبين هذا العمل؟

ـ تعرف هذا.

ـ همم.. هذا جيد ما دمت لا تصبين إلى ما هو أعلى من هذا.

هبّت آغاتا واقفة ولكنها ندمت فقد أرسلت يده التي انزلقت إلى جسمها نبضات سريعة..

قالت بجفاء: إلى أين، الآن، سيدي؟

قال وهو يسير بخفة إلى جانبها:

ـ إلى السفارة الكولومبية.. شارع «هانوفرينت».. سيرور لأنك غير مهتمة بإيلياس.. بل أنا مغتبط كثيراً.. كثيراً.

كان صوته منساباً كالعسل.. فلزمت الصمت ولكنها شعرت بالصدمة لأن مشاعرها تتجاوب بشكل غريب مع كلماته.

ـ بعد الانتهاء من السفارة سنمرّ بالمكتب. لقد استدعيتك لأنني دُعيت فجأة لإجراء مقابلات إذاعية وللقيام ببرنامج تلفزيوني في الصباح.. أما البرنامج فسنراجعه معاً.

فيما بعد، وهي جالسة في مكتبه رأت كيف يعمل بلا انقطاع طوال الوقت.. ولكنه لولا هذا لما أنجز أعماله.

فتش جارد بين الأوراق وأخرج منها بعض الرسائل. قال وهو يلتقط لائحة كبيرة مخططة: هنا.

دار حول الطاولة إلى جانب آغاتا، وركع على الأرض ثم فتح اللفافة وثبت أطرافها بالكتب. كانت لوحة مواعيد ضخمة مرسومة كالخريطة.

ـ انظري إلى هذا.

ركعت إلى جانبه بعصبية.. كان قد خلع سترته فاستمتعت بمنظر منكبيه العريضين. لم تبدُ فكرة الاقتراب منه كثيراً فكرة صائبة.. ولكن لا بديل عن هذا لأن الكلمات المكتوبة على اللائحة مدونة بخط صغير.

قال: «دعك من كل ما هو مكتوب بالأسود.. فهذه هي المواعيد النهائية.. وانتبهي للمداخلات الحمراء. الليلة، المقابلة مع رينشارد هوت وعند الفجر علينا التوجه إلى التلفزيون، ومنه إلى مركز الإذاعة».

ارتدّ إلى مكتبه لينتزع ورقة دوّن عليها ملاحظات.

ـ سجلي الأوقات والوجهات، وحددي متى يجب أن نتحرك.

ـ أجل.. سيدي.

اندفعت الحرارة من جسده تجذبها بحيث اضطرت إلى إلقاء أكثر من نظرة على المواعيد. فكتفاه لا تبعدان عن كتفيها سوى سنتيمترات، وذراعه تحمل ثقله وهو يميل راكعاً إلى الأمام.. واليد الضخمة مفتوحة على الورقة أمامها..

ـ ألست مستغربة سيدة بروست؟

سألت وهي ترتجف: ممّ؟

ـ من المقابلات.

عمت الراحة قلبها: «أجل سيدي».

ضحك ووقف مادّاً لها يده. ولكنها تمنت لو امتنعت عن إمساكها، فعندما ساعدها على الوقوف شدها ببطء إليه.. دون أن يلمسها ولكنه قربها منه كثيراً.

قال وهو يدفع كتاباً إلى يدها الأخرى:

ـ هذا هو السبب.

www.rewity.com
gege86

استغلت آغاتا الفرصة فابتعدت وصبّت اهتمامها على الكتاب الذي كتبه وفيه رسومات لرؤساء الدول في العالم كله، يرافقها بعض الرسومات الكاريكاتورية اللاذعة.

ـ احتفظي به إن شئت.

ـ شكراً سيدي.

كانت مسرورة بالكتاب، لكنها لم تُظهر شيئاً من مشاعرها.. فلو أعطت هذا الرجل إنشاً واحداً لانتزع منها ألف ميل.

قال ساخراً: «لا تغتبطي.. فقد أعطوني اثنتا عشرة نسخة مجانية.. والآن أعيديني إلى البيت.. يجب أن أستحم وأغير ملابسي وآكل شيئاً قبل المقابلة».

كانت آغاتا أشد منه عصبية، والواقع أنها لم تعرف أنه في طريقه للمشاركة ببرنامج يشاهده ملايين الناس. راقبته طوال العرض من قاعة المشاهدة. ولكن ما كان عليها أن تقلق.. فشخصية جارد المرحة تماشت مع ريتشارد هوت.. وشخصيته الكهربائية خلقت جواً من الارتعاش في الاستديو.. فاسترخت آغاتا وبدأت الاستمتاع بتعليقاته السليطة.

سألها حالما شاهدها: كيف وجدت المقابلة؟

ردت بأدب: «جيدة جداً سيدي».

ـ ألا تعتقدين أنني كنت في القمة؟ كيف وجدت النكتة عن اللاما؟

ـ أغرق الجميع بالضحك.

ـ أجل.. أعرف.. وماذا عنك؟

قالت بوقار:

ـ أجل.. أغرقت أيضاً بالضحك.

برقت عيناه: «همم.. ألم تكن جريئة؟»

ـ أنا واثقة أن مقسم الهاتف تلقى احتجاجات كثيرة.

ابتسم راضياً:

ـ عظيم.. أتشربين شيئاً؟

ـ لا.. شكراً لك.

ـ عظيم جداً! أقليني إلى البيت.

تتابعت المقابلات بشكل رتيب.. وثابر جارد على هدوئه أما آغاتا فظلت متوترة. كان يسلي الجميع ويجتذب الضحك من مشاهدي الاستديو والمستمعين.. كانت تفكر في هذا الرجل وفي شخصيته فرغم عيوبه الكثيرة تجد أن ديناميكيته غير العادية تمسح كل عيوبه من الوجود.

ثم حلّ موعد حفل الاستقبال في السفارة الكولومبية.. في هذا الوقت بدأ هدوء آغاتا يتضعضع، فقد دخل جارد مساء إلى المطبخ حيث كانت تنتظره فبدا أنيقاً فاتناً.. وعضت شفتها السفلى حين رأت ربطة عنقه السوداء في يده، ونظرة التساؤل على وجهه:

ـ أتساءل سيدة بروست.. إذا كان بالإمكان..

مد ربطة العنق نحوها، وحاجبه مرتفع أملاً.

ـ أنا آسفة.. لا أعرف كيف أسوي ربطة عنق.

ستكون ملعونة إن سمحت له بالاقتراب منها إلى هذا الحد. أيعقل ألا يعرف رجل مثله كيف يعقد ربطة العنق؟

وضع يديه على كتفيها: لو انحنيت قليلاً..

أحست بدفء في عظامها الرقيقة. ثم رأت عينيه المخمليتين تومضان بدفء: أرجوك.

ستحاول.. ولكنها ستدفع يديها إلى الفشل الذريع لئلا يحاول بعد ذلك الطلب إليها عقد ربطة عنقه.

تمتم: عيناك كبيرتان.

برقت عيناها الكبيرتان غضباً. فأضاف: ستبدين أجمل مظهراً لو...

صمت.. ربما غيّر رأيه عندما رأى عينيها تضيقان.. ثم أصدر صوتاً مخنوقاً لأنها شدت الربطة على عنقه بقوة.. أطبقت يداه على يديها وشد

www.rewity.com
gege86

عليهما بقوة حتى شهقت فنظرت إلى عينيه بتوسل.

قال بصوت أجش: «حاولي مرة أخرى.. وفي هذه المرة أعقديها جيداً».

في نبرة صوته تحذير.. فغضبت لأنه يعتبرها خادمة إضافة إلى كونها سائقة. إنها لا ترحب بهذه الخدمة لأنها خدمة حميمة.. طوت القماش الأسود بأسرع قدر ممكن، متجاهلة يديه الممسكتين بكتفيها، يديه اللتين بدأتا بالنزول إلى ذراعيها.

ارتعشت يداها فعبست بشدة.

سأل ساخراً: «هل من خطب؟».

ردت بحنق: «لا شيء. هاك».

ارتدت بسرعة وراحت ترتدي سترتها بسرعة أثارت تسليته.

فيما بعد ازداد الأمر سوءاً.. فمهما كان السبب هل هو مستريح لأن المقابلة التي أجروها معه انتهت أم لأنه اشتاق إلى صحبة النساء في الأسبوع المنصرم؟ لم تكن متأكدة.. لكن عندما أصرّ على الجلوس إلى المقعد المجاور لها في مقدمة السيارة شعرت بتوتر لأنه يتصرف بطريقة تنذر بالخطر، فكأنه ينوي خرق بعض القوانين..

قال مازحاً وعيناه السوداوان تتراقصان:

ـ يا لك من خادمة كاملة.

لاحظت صونه الأجش فأخذت حذرها منه.. ردت بأدب: «شكراً لك.. سيدي».

ابتسم ساخراً: «ألا يغضبك شيء أبداً؟».

ـ بالطبع هناك ما يغضبني سيدي.. ولكن من غير الضروري معرفة ما هو الذي يغضبني.

ـ توقفي هنا.

تجمع الخوف في أعماق معدتها.. فالوقت فجر والشارع مهجور..

أوقفت السيارة عند المنعطف وأطفأت المحرك.

ـ سنتحدث.. أنظري إلي.

واجهته بقلق وكان الخوف قد بلغ عينيها.

ـ يشكو إيلياس من أنه لا يستطيع إيصال بيرتا إلى المدرسة.. لذلك سأرسلك إلى المزرعة غداً.. أعني اليوم. لكن..

لاحظ شيئاً على بلوزتها فمد يده ليرى ما هو.. ثم تمتم: «أعتذر».

لكن أصابعه بقيت على القماش.

ـ أنا سبب انتشار هذه البقعة على البلوزة على ما يبدو.

لم تستطع أن تتحرك.. فثمة خيط خفي يجذبها إليه ويجذبه إليها، وهذا الخيط هو ما يجبرها على التركيز على عينيه المفعمتين بالعواطف..

كادت تصيح: أبعد أصابعك عني.. ولكنها عوض ذلك أغمضت عينيها..

قالت بوهن: «لا بأس بهذا».

ـ لا... لا بأس في هذا أبداً.

ثم ارتفعت أصابعه إلى أذنها، وشعرت بأنفاسه.

يجب ألا يقترب أكثر.. ويجب ألا تدعه.. فلو فعل فستضطر إلى ترك عملها وتعود للبحث عن عمل جديد.

ارتدت خائفة إلى الباب: لا تفعل هذا.. أتوسل إليك!

دس يده خلف رأسها:

ـ كلام لذيذ.. أحب سماع المرأة وهي تتوسل.

أحست بكل إصبع من أصابعه تنطبع على رأسها.

ـ لا أريد أن أفقد وظيفتي.

ـ إذن دعيني أعانقك!

ـ أيها المتعجرف...!

بذلت جهدها لتبقى على ثباتها.. اللعنة عليه! وحده الرجل القذر قد

www.rewity.com
gege86

يستغل موظفة لديه على هذا النحو.

قال بكسل: «ليس هناك ما هو شخصي سيدة بروست.. فأنا أسدي لك خدمة.. أترين، إن تركتك على رسلك برفقة إيلياس فستحتاجين إلى شيء للمقارنة.. وأنا لا أثق به».

ضمتها يداه القاسيتان ولكنها حاولت أن يبقى جسدها صلباً لا يلين رغم نيران المشاعر التي حركت كيانها.. ثم ضاعف تهجمه الشرس، وبدأ رأس آغاتا يدور.

رغماً عنها ورغم علمها بأن هذا جنون استجاب جسدها الخوان بشكل ظاهر وتحرك متململاً، فخفّف جارد ضغط يديه عنها ليعانقها برقة.

أدركت مذهولة أن هذا ما أرادته منذ زمن طويل.. وها هو الآن يحدث حقاً.. إنها تتعرف إلى شوقها إليه.. وهو على ما يبدو نسي في خضم مشاعره من هي.. دفعته يداها المعترضتان بجهد عنها فارتدّ إلى الوراء وعيناه كزجاج بركاني أسود.

قال بصوت أجش: «السؤال الآن: هل تجاوبت لي أنا أم لأنك ثمرة ناضجة بإمكان أي كان قطفك؟».

أخرسها الغضب.. فانتزعت نفسها بحدة من هذا العالم الحالم.. وأدارت المحرك بأصابع باردة مرتجفة.. لكن يد جارد أمسكت بمقبض تحويل السرعة، ولم تستطع التخلص منه بسهولة.. فكرت لوهلة أنه منجذب إليها فعلاً.. وأن المشاعر التي عمّت كيانها جسداً وفكراً كانت مثيرة.. هه! جارد غير متأثر أبداً.

قالت: «عليك أن تتوقف عن كل هذا لأنك تهينني».

ـ سننطلق بعدما تردين على سؤالي.

سألت ببرود: «أي سؤال».

ـ لمن كان تجاوبك؟ لي؟ أم لأي رجل؟ أم لأنك متعطشة إلى الحب؟

قالت بصوت مرتجف: «عليك أن تعرف أنك رجل ماهر وأنك قادر

على صرع معظم النساء ودفعهن إلى فقد توازنهن العاطفي.. لكنني لا أريد شيئاً، ولا أريدك. ولن أستطيع العمل عندك بعد الآن سيد دونيمز لأنك عرضتني إلى مثل هذا الإذلال».

رد ساخراً: «لكن معظم النساء يثيرهن هذا».

ـ أنا لست كمعظم النساء.

ـ حقاً! أعذريني لأنني تهجمت على كرامتك لكن السبب على الأرجح هو الإرهاق الشديد. أعدك بألا يتكرر هذا مجدداً. وإن تعرضت إلى عناق كهذا من قبل إيلياس فستذكريني عندئذ.

نظرت إليه بغضب وتعمدت مسح بشرتها وكأنها تريد أن تمحو آثاره عنها.

ـ لا أظنني أحب أن أتذكر أمراً كهذا.

نظر إليها بإمعان:

ـ لا؟ بل ستتذكرين وسأتأكد بنفسي من هذا.

* * *

www.rewity.com
gege86

٤ ـ سبحت في عينيه

كان الوقت الذي تقضيه آغاتا مع بيرتا ابنة الخمس سنوات محدوداً خاصة لأنها توصل بعض زملاء بيرتا إلى منازلهم لأنهم على طريق المزرعة. . لاحظت أن بيرتا تثرثر مع زملائها بشكل طبيعي. . وهذا يعني أنها صموتة ومتحفظة فقط مع الكبار في المزرعة. . لاحظت آغاتا أن الطفلة السوداء العينين تنظر إليها بحقد وعناد وهذه النظرة أشبه ما تكون بنظرة أبيها. . ولكن في هذه الصغيرة رغم ذلك تلك الجاذبية الساحرة التي تجذبها إليها، أمضتا فترات قصيرة معاً خلالها تركتا شعريهما حراً وراحتا تعبثان معاً قرب البحيرة. . ولكن عندما كانت تساعد آغاتا بيرتا على تنظيف نفسها لتكون بمستوى مقاييس جاي الدقيقة في الترتيب كانت الغلالة تعود على عيني بيرتا وتعود لتتزوى على ذاتها.

أخذت دوماً حذرها من إيلياس وكأن تحذير جارد الحقود مبني على واقع. . عندما عادت كلارا إلى شقتها في «برايتون» اشتدت اهتمامات إيلياس حدة إذ حاول التودد إليها مرات عدة ولكن صورة رجل أسمر كئيب كانت تطاردها في مثل هذه اللحظات.

إنها تفتقد إليه وهذا أمر سخيف. . ولكنها تذكرت أنها تشعر بأنها مسحورة عندما تكون معه. عليها أن توسع آفاقها قليلاً. . وعليها أيضاً أن توضح لإيلياس أنها غير مهتمة به.

جارد رجل خطير لذا عليها أن تتجنبه فثقتها بنفسها معدومة تقريباً لذا

لن تقوى على أن ينبذها رجل مرة أخرى. وهذا النبذ أمر سيحصل بالتأكيد، فلو قبلت دعواته الجريئة الماكرة لتلاعب بها فترة قصيرة إمتاعاً لفضوله فقط.

شعرت بأنها توشك أن تصاب بالرشح ومع ذلك قامت مع إيلياس بنزهة في الريف سيراً على الأقدام ولكنها نوت أن تتحدث معه بشأن عبثه الذي لا ترحب به أبداً. غير أنها لسوء الحظ كانت تشعر بضعف جعلها لا تستطيع تناول الطعام منذ الصباح. . وكل ما استطاعت القيام به لمتابعة حديث عادي هو عدم الانخراط في موضوع صعب. . لعل اقتراب موعد لقائها بجارد هو ما يوترها فهي تشعر فعلاً بالدوار لمجرد التفكير في رؤيته مجدداً!

ساعدها إيلياس في التقاط بعض التوت البري الأسود وحفنة من الزعرور البرّي الذي نوت وضعه في وعاء خزفي كبير في تجويف نافذة منزل السائق. بعد ساعتين، تحت ضباب بارد وقررا العودة. في الطريق، توقف إيلياس على حافة حاجز من شجر الزان والتفت إليها

قال ببطء:

ـ آغاتا. . عاملتني بجفاء قليل اليوم. . هل أخبرك جارد عني ما جعلك تحذرين مني؟

ـ أنا. . أنا. .

عجزت عن الكذب فلم ترد شيئاً.

ـ اللعنة عليه! يجب ألا تصدقي كل ما يقوله. . . إنه فاسد لا سبيل إلى تقويمه. إن الرجل الذي يهرب من زوجته الحامل لنذل كبير.

أتسعت عينا آغاتا من فرط الصدمة. . لا يعقل أن يكون كلامه صحيحاً! لكن وجه إيلياس أعطاها الرد الرهيب! إنه صادق. ألهذا يكرهه؟. . وها هي الآن تحتقره.

تمتمت: «عليك ألا تخبرني بشيء كهذا».

www.rewity.com
gege86

وارتدت على عقبيها لتتابع المسير ولكنه أوقفها.

ـ ولماذا؟ ألأن هذا يؤلمك؟ أتهتمين به؟

ـ إيلياس! لا، بالتأكيد! أنت مجنون بلا شك لأنك تظنني مهتمة به كرجل!

في تلك اللحظة تألمت كثيراً، فكلمات إيلياس اللعينة ما برحت ترن في أذنيها. كانت تعني ما تقول من كل قلبها وروحها.. فرجل يهجر زوجته الحامل جدير بأكثر من مجرد الاشمئزاز.. كرهت الطريقة التي أربك فيها أحاسيسها بعينيه السوداوين، وشخصيته المثيرة بجنون.. لقد غدر بقلبها الذي وثق به! إنها الآن غاضبة لأنها كانت غبية فشعرت بالإعجاب به. ما أسهل أن يخدع المرء نفسه إذا أراد أن يُخدع.

سحب إيلياس نفساً عميقاً:

ـ أحمد الله! خشيت..

قالت بهدوء: أرجوك.. ثق بأن عندي شيئاً من التعقل.

ابتسم ثم ما هي إلا حركة سريعة حتى حشرها في شجرة راح يهمس بلطف في أذنها ولكنها أبعدت رأسها عنه بحدة:

ـ لا تفعل هذا! فقد يطردني جارد من عملي إن عرف!

ابتسم: «لكنه لن يعرف.. وكيف له أن يعرف؟ نعم لديه نظر ثاقب ولكن نظره لن يخترق أجواز السماء. أتعرفين آغاتا؟ بدأت تعنين الكثير لي.. وأشعر أنني على وشك الوقوع في حبك».

ـ إيلياس توقف عن العبث.. عليك التوقف عن مغازلتي.

ـ أنا لا أعبث.. إنني جاد.

ـ لا، لست جاداً! أوه.. اللعنة! سأتأخر عن موعد جارد.. يجب أن نعود فعلاً وإلا لن أصل إلى لندن في الوقت المناسب.

قال إيلياس برضى:

ـ أنت ترتجفين.. لا تخافي.. لن أؤذيك.

لامست شفتاه خدها، وكان لديها قوة الإرادة لتدفعه عنها.. لكن رأسها الذي كان يدور خذّر أطرافها.. قال متأوهاً:

ـ أنت رائعة.. لم أتعرف إلى امرأة مثلك من قبل آغاتا.. أنا.. أحبك.

ـ أرجوك.. لا تقل هذا.

رغم سخطها ورغم معرفته بأنها ستتأخر على جارد طلب منها إيلياس أن تقله إلى صيدلية في «هايوارد هيث» لشراء الأسبرين وكان أن اشترت بعض الأدوية لنفسها. كان الرشح الذي أصابها قد تجاوز أنفها وغار إلى رئتيها.. فشعرت بجسمها يرتجف.

عندما أوصلت إيلياس سمحت له أن يضغط يدها مودعاً بحرارة، ولكنها شعرت بالحمى تجتاح جسمها.. فالجو الرطب أشعرها ببرد وصل إلى عظامها، وبدأ الضباب يدور حتى لفّ الطريق الرئيسية فكان أن تطلب منها ذلك مزيداً من التركيز في القيادة وأجبرها أيضاً على السير ببطء. ثم لاحظت أن الوقود يكاد ينفد من السيارة فوقفت أمام محطة وقود في صف طويل.. أدارت جهاز التدفئة فشعرت بالدفء يخدر بشرتها.. ثم اضطرت للخروج لتفتح غطاء الوقود ثم أقفلته ونقدت العامل ثمن الوقود.

وجدت جارد يذرع فناء البناء كحيوان مفترس ينتظر أن ينقض على فريسته.. عندما رآها تقطع الرصيف وصولاً إليه رماها بنظرة سوداء من الزجاج. ترنحت قرب البكس فسارع يحيط بخصرها ليمنع سقوطها.

قال: هاي! أراك متعبة، هل من خطب؟

صاح جارد بشفتين مضمومتين: «دعها وشأنها!»

قالت: «أنا بخير».

وأوصلها أليكس إلى جارد، وهو يسندها بطريقة تحميها. لكن جارد تجاهلها وأخذ مفاتيح السيارة منها ورماها إلى البكس.

ـ ضع السيارة في الكاراج أرجوك.. فلن نستخدمها.

www.rewity.com
gege86

قال البكس: «لكن، الباب سيدي.. أنا مسؤول».

برقت عينا جارد فأسرع البكس يلبي طلبه.. ابتسمت آغاتا من منطق جارد الملتوي فلا بأس أن يترك المرء مركز عمله ما دام جارد دونيمز.

قالت: آسفة على تأخري.. لقد ذهبت إلى «هايوارد هيث».

- ولماذا ذهبت إلى هناك؟

- كان إيلياس بحاجة إلى أسبرين.

- لكنه لا يتناول الأسبرين.

- لكن..

- إنها حجة ليؤخرك سيدة بروست وليزعجني. ستعتادين على هذا النوع من الخدع الرخيصة.. هل هناك سبب آخر لتأخيرك؟

راح عقلها يحلل ما يقصده.

أضاف: «تبدين منهكة.. أو على الأقل تبدين وكأنني أنا الذي أنهكتك.. فلن يصل إيلياس إلى مثل هذه النتيجة أبداً».

اجتاح ضعف غير عادي جسمها. إن هذين الرجلين يتلاعبان بها ويتقاذفانها ليسجل كل واحد منهما نقاطاً في مرماه.. يا للسخافة! ثم ماذا يقصد بهذا الكلام عن الإنهاك؟ سحبت نفساً عميقاً ثم أصابتها نوبة ارتعاش.

وضع جارد يده على جبهتها فسمعت قلبها يخفق في أذنها.. تمتمت: «أرجوك.. أنا.. آه..!»

تهاوت ساقاها الضعيفتان ولكن جارد سارع يلتقطها قبل أن تقع أرضاً.. ثم رفعها بين ذراعيه كطفلة صغيرة.

كانت عاجزة بين ذراعيه لا تقوى على الحراك وكان كل ما حولها يدور ويدور ولكنها شعرت أن خده وأنفه على مقربة من أهدابها المرتجفة.. راح رأسها يدور ويدور.. ثم أصبح رأسها ثقيلاً بحيث عجزت عن إبقائه مرتفعاً.. ولكن أين وقع؟ وقع رأسها على عنقه فشعرت

براحة عارمة.. كيف لأي شخص أن يكون ملمسه بهذه الروعة من الخارج بينما هو من الداخل فاسد، فاسد.

شمّت رائحة الرجولة فيه، وحركت أنفها إلى مكان مريح أكثر من هذا.. عندئذ شعرت بقفصه الصدري يعلو ويهبط بشكل خطر ثم شعرت بقبضة يديه حول ركبتيها وذراعيها تشتدان كثيراً.. تدفق دفء محبب إلى دمها فحول لحمها وعظامها إلى سائل ثم أصبح جسمها كله كنهر ذائب بين ذراعيه.. ولم تعد تشعر إن كانت قبضته تؤلمها أم أن أنفاسه تتهامس على وجهها.. في هذه اللحظات لم تعد تشعر إلا بأنهما يطيران معاً.

- آغاتا..

أهذا صوته؟ هل يبدو خشناً حقاً؟ يا الله! ما هذه الأحلام المجنونة التي تدور في ذهنها؟

تمتمت: «آسفة سيدي.. أشعر.. أنني.. غريبة».

فجأة شعرت بأنها على الفراش، ففتحت عينيها المثقلتين. لقد فعلتها.. لا قيمة للسائق إذا بات غير قادر على قيادة السيارة.. شعرت بغصة كبيرة.. رأت جارد ينفك بأفته، ويرخي ربطة عنقه. آه! يا الله! إنها عاجزة، مريضة ضعيفة، بل وهنة.. كيف تقاومه الآن؟ لماذا اختار هذه اللحظة بالذات ليستغلها؟ لا بد..

- آه!

- لا أقصد إخافتك، اشربي هذا.

رفع كوب الليموناضة إلى ثغرها. تمتمت: «لا.. لن أشربه».

لكن لسانها لم يطع عقلها. حاولت الجلوس فانحنى جسده بشكل شرير فوقها وأعادها إلى الوسائد، ثم ضغط حافة الكوب على ثغرها

- نفذي ما أقوله.

أذعنت بوهن فقد يساعدها هذا في تليين حلقها الجاف وفي إعادة شيء من قوتها إليها. عمت أطرافها برودة مستساغة، وأخذ عقلها

www.rewity.com
gege86

يتخدر.. كان عليها أن تأكل شيئاً.

سألها: أتشعرين أنك أفضل حالاً؟

ـ لا.. أجل.. حسناً.. لا!

لن تشعر أنها أفضل حالاً ما دام واقفاً أمامها هكذا.. ارتفعت يداها فلامستا كتفيه.. تأوهت نصف واعية، فالحمى خدرتها تخديراً والحرارة المرتفعة ألهبت وجهها وحوّلت عينيها إلى لهيب أحمر.. هناك شخص يسحب أنفاساً ثقيلاً ثم تبين لها أنها هي هذا الشخص..

قال جارد بصوت ناعم:

ـ يا إلهي! أنت في أسوأ حال.

آه! حقاً..؟ وماذا يحدث لي؟

ثم تركها.. فأغمضت عينيها لعل النوم يريحها من هذا الألم.

أيقظتها أصابع قاسية بخشونة وراحت هذه الأصابع تضغط شريط قياس حرارة على جبهتها.

قال: «متى أصبت بهذا الرشح؟»

فكرت: أنا أسبح.. في عينيه.. أمسكت اصبعان ذقنها.

ـ اللعنة! كان يمكن أن تتعرضي لحادث في مثل هذا الطقس.

إنه غاضب بسبب السيارة، رمز مركزه الاجتماعي الراقي.. قالت وهي تركز على كلماتها:

ـ قدتها بحذر شديد.

كانت كل عضلة في جسمها تصرخ ألماً.. إنها الانفلونزا.. يا لحسن حظها!

قال بصوت خال من الشفقة:

ـ امرأة حمقاء.. أتظنين أنك قادرة على دخول الفراش؟

ـ يا إلهي.. أكنت ذاهباً إلى بيتك؟

ـ هذا بيتي.. سأتصل بإيلياس.

ـ لا.. أرجوك اذهب.. سأبقى هنا.

ـ لا تكوني سخيفة.. لن تستطيعي العناية بنفسك. أنت لا تقوين على رفع ذراعك.. ادخلي إلى الفراش ريثما أتصل.

حاولت النهوض، لكنها عادت إلى الوسائد.. سمعت جارد يوبخ إيلياس عبر الهاتف فارتاعت من غضبه ومن سلاطة لسانه.. مسكين إيلياس! وضعت يديها على أذنيها وتكورت لتحمي رأسها النابض بالألم.

ـ أذكر أنني أمرتك بالدخول إلى الفراش! أترغبين في الموت؟ الأنفلونزا مرض يمكن علاجه، ولكن يجب أن تنتبهي لئلا تصابي بالتهاب رئوي. والآن، تحركي سيدة بروست.. وفي هذا الوقت سأعدّ لك شراباً ساخناً!

تمتمت بتجهم: «طاغية!»

سحب جارد أنفاسه بحدة: فليساعدنا الله!

شدها إليه ثم ساعدها على نزع سترتها وحذاءها، بعد ذلك وضعها في الفراش.

وقف فوقها فإذا هو غير واضح المعالم.. عيناه فقط تحترقان ببريق ملتهب.. ارتفعت يداها لتستر نفسها من نظرته ثم اتسعت عيناها خوفاً..

قال جارد بصوت فظ:

ـ استلقي هنا.. ولا تجرؤي على الخروج! ولا تحركي ساكناً.. إن رأيت شيئاً عدا رأسك فوق الغطاء لدى عودتي ضربتك.. واضح!

أنّت آغانا وحارت من نظرته الممعنة.. عندما عاد أجبرت جفنيها الثقيلين على النظر إليه.. أرجع الأغطية عنها قليلاً فأغمضت عينيها لكنه دس يده تحت ذراعها ورفعها حتى جلست. ثم وضع الوسائد وراء رأسها وظهرها، ثم سوى الأغطية. آمرها قائلاً:

ـ اشربي هذا.

ـ جارد.. أنا.. أنا.. مشوشة.

www.rewity.com
gege86

رد بصوت أخفض من عادته بعدة درجات:

ـ اللعنة عليك! سيدة.. آغاتا.. أصغي إلي.. حرارتك مرتفعة كثيراً.. وأخشى ألا يناسبك احتساء الليموناضة الباردة.. حباً بالله حاولي التركيز على ما أقوله.. لا فكرة لك عما تفعلينه، لا تنهضي من الفراش.

لفها بالأغطية مجدداً، وأسرها تحت الغطاء بقوة.

ـ.. واشربي هذا، سيساعدك على النوم.

عندما شربته حتى آخر قطرة أزال الوسائد من ورائها.

ـ نامي الآن!

ـ أجل.. سيدي!

أحست بالتمرد، انسلّت من بين شفتيها آهة صغيرة.. فنظر إليها بغضب وأغلق الستائر ليبعد النور عن الغرفة:

ـ نامي.

في وقت ما، ربما مع ساعات الصبح الأولى سمعت صوت الدوش ثم دخل أحدهم إلى المطبخ وعبث بغلاية الماء.. أرادت أن تحرك جسمها فإذا هو مقيّد بأغطية، وقاومت لتتحرر.

انفتح بابها برقة ووقف جارد.. ثم داعب شيء بارد جبهتها، فتأوهت سعادة. ووضعت يديها على صدره القاسي.

قال بصوت متهدج: «آغاتا.. توقفي عن هذا!»

تأوهت مجدداً:

ـ أنا آسفة! سامحني.. ما زال رأسي مشوشاً.

ـ يجب أن تستريحي..

ـ آسفة لأنني أزعجك..

قالت وهي تشعر بدوار شديد:

ـ لم أتناول اليوم طعام الغداء..

أحست بالدوار مجدداً وحاولت الكلام: لا أستطيع..

صمتت مجدداً.. وتغضن جبينها إحباطاً.. لماذا لا تخرج الكلمات من فيها؟

قال جارد بهدوء:

ـ لا بأس عليك.. لا تحاولي التفكير.. لا يستطيع المرء أن يمنع نفسه من المرض.. أما الغضب منك فأمر غير وارد.. بل العكس.. أنا معجب بشجاعتك وصراحتك.

مرر القماش المبلل فوق رأسها وسأل:

ـ والآن.. أتشعرين أنك أفضل حالاً؟

ـ قليلاً.. أشعر بصداع رهيب.

دلكت أصابعه الرقيقة صدغيها.

ـ أغمضي عينيك واسترخي.

كيف لها أن تسترخي وهو على مقربة شديدة منها؟ يا إلهي! ما هذا؟ إنني منتبهة تماماً وحيية.

نامت حتى الحادية عشرة من صباح اليوم التالي.

ـ كيف تشعرين الآن؟

عندما رفعت عينيها أحست بأن أربعة رجال يجلسون فوقها.. ذرّ أحدهم كيساً من الحصى الناعم في عينيها.. ولكنه قبل هذا جفف ثغرها بإحدى تلك الأدوات التي يستخدمها طبيب الأسنان وملأه باللباد.

تمتمت: «كريه».

ـ جربي الماء الساخن والحامض.

ـ أفضل الأسيد البروسيك.

ـ عرفت إذن.

فتحت آغاتا عينيها ونظرت إليه نظرة مشاكسة، ثم شربت ما قدمه لها وكان أن ساعدها الشراب على رفع اللباد من فمها. عادت إلى الوسائد بوهن ولكنها استغربت شحوب وجهه.. هل السبب هو لحيته التي بدأت

www.rewity.com
gege86

تنمو، والتي زادت من اسوداد فكه بحيث أصبح كمجرم إسباني؟.. يا الله! ما زالت الحمى تؤثر في عقلها.

قالت بصوت وهن: «أنا أموت».

سأل متسلياً: «أترغبين في جنازة أم تفضلين أن تحرق جثتك؟».

انفتحت عينها الأخرى واستقرت بسخط على وجهه البريء. ابتسم لها ابتسامة زائفة فبادلته الضحكة، ودفنت وجهها في الوسادة محاولة منع نفسها من الضحك ولكنها لم تستطع إذ انتقلت عدوى مرحه إليها فأغرقت في الضحك حتى أرهقها ذلك.

ابتسم لها مجدداً ووضع يده تحت ذقنها:

ـ ليست صحتك بهذا السوء.. مع أنني لاحظت شيئاً من الهستيريا في ضحكتك.

سحبت نفساً عميقاً لأنها وجدت وجهه الجميل الذي لا يقاوم على مقربة منها.

ـ أجل.

مالت إليه عيناها نصف مغمضتين بالمشاعر.. وسمعته يتمتم:

ـ لا أصدق أن عذرك هذا الصباح هو الحمى.

ابتسمت لعينيه اللتين فقدتا كل دفاعاتهما بحيث استطاعت أن ترى روحه من خلالهما.

قال وهو يسحب أنفاسه بصعوبة: «آغاتا».

ثم مرت بوجهه تقطيبة، فوقف ولم يعد ينظر إليها.

تولاها الذعر.. ما الذي دهاه بحق الله؟ شعرت الآن بأنه منجذب إليها، فلماذا يبتعد؟

قالت بصوت أجش:

ـ إلى أين أنت ذاهب؟

قال بوجه متجهم: «لأفحص رأسي».

عندما همّ بالخروج رن جرس الهاتف فغاب بضع دقائق وعاد يقول:

ـ إنه إلياس الذي يسأل عن حالك. قلت له إنك تلازمين الفراش.

أمسكت الغطاء الحريري الأزرق تشده إلى عنقها.

ـ آه!

عاد جارد المخيف وأطاح بالآخر اللطيف، هذا إذا كان هناك آخر لطيف. لا كانت تتخيل.

تابع كلامه بلهجة حادة:

ـ سأل إذا كان بإمكانه تسليتك، فقلت له إنك قد تعدينه.. أراد المجيء ليعتني بك.. يعتني بحب حياته.

في نبرته السخرية القديمة. أجفلها تهجمه.

ـ قلت له إنه سيكون معرضاً للمرض وإنه أبله. وإنني لا أريد أن تلازما الفراش هنا.

رفعت آغاتا إليه عينيها بذعر ولكنه لم يعرها اهتماماً.

أضاف: «آه.. لقد سمعت الشوق المختبىء في صوته.. وكاد يتفجر غيظاً عندما قلت له إنني ساعدتك في نزع ثيابك... ما زالت أذناي تطنان من حدة صوته.. أخي على ما يبدو واقع في حبك رأساً على عقب.. ماذا فعلت له؟»

صمت قليلاً ثم قال بصوت رقيق مُقنع:

ـ لا جواب؟ ألا تجرونين على الرد؟ يجب أن تعرفي أنني استجوبته وأنه تحت الضغط اعترف بأنه واقع في حبك.. فهل هذا صحيح؟

تمتمت: «وكيف لي أن أعرف؟ أرجوك.. لست بصحة جيدة. رأسي...».

أمسكت يداه ذراعيها فألمتاها.. وارتدّ رأسها من فرط الصدمة فانسدل شعرها الجميل كالنهر فوق الوسادة.

ـ لا تتواري وراء ضعفك.. إلام تسعين؟ ما هو الذي يجذب الرجال

www.rewity.com
gege86

إليك؟ لست جميلة.. لكن جسدك مناسب. فهل تخططين لقضاء حياتك بالزواج بمن تعملين عندهم؟ أولاً بوريس بروست، والآن إيلياس ماريونز.. فكرة جديدة رائعة.. إضافة إلى استمتاعك بسيارة جديدة تستمتعين بزوج جديد.. لا أعرف لماذا لم تفكر نساء أخريات في مثل هذا؟

ـ لا.. أنت مخطىء..

ـ حقاً؟ لماذا هو قلق من علاقتنا؟ لم يزعج نفسه قطّ بأية امرأة وظفتها. وها أنا الآن أستغرب ما إذا كان على حق بقلقه.. فهل تسعين إلى تغطية نفسك إن لم يعرض عليك إيلياس عرضاً مناسباً؟ أشعر بأنك تريدين إيقاعي بحبائلك إن لم تحصلي على ما تريدين من إيلياس.

قال كلماته بما يشبه الهمس ولكن ما قاله وقع عليها كالصاعقة.

ـ لم أحاول قطّ إيقاعك في حبائلي! فمن أين أتيت بهذه الفكرة؟

ـ هل أنت متأكدة؟ لا تخدعي نفسك!

ضربتها الصدمة كصفعة على وجهها

ـ أظنك تريدين إيقاعي في حبائلك ولكنني أرفض تذوق طبق زبون آخر. اسمعي! أنا لا آخذ ما يفيض عن حاجة أخي بل آخذ فقط نسائي.. ونسائي فقط! لطفك يا الله! أنا قادر على ضربك بسبب غبائك هذا!

* * *

٥ ـ واحة في صحراء الحقد

غطت آغاتا وجهها بيدين مرتجفتين لأنها تشعر بالذل وبالرعب من الطريقة التي لوى فيها جارد وصفاً برينا.

قال آمراً: «أبعدي يديك.. لا أستطيع رؤية وجهك».

ردت منتحبة:

ـ أنا لا أتوارى منك.. بل أحاول أن أفكر بشكل قويم! أرجوك! رأسي يدور ويدور.

ـ أخبرتك عن إيلياس وحذرتك منه!

صاحت وعيناها تلتهبان:

ـ كلمه أنت إذن! إنه رجل ناضج.. ولا أقدر أن أمنعه من قول ما يريد.. أنا وإيلياس على وفاق فأعمارنا متقاربة ولدينا ما نتشارك به. وقد كان مسروراً بوجود صديقة.

ـ صديقة! أنت سائقتي أنا!

ـ وأنا إنسانة أيضاً.. وإن كنت معجبة بإيلياس فلن أدعي العكس لأنه أخو مخدومي.. فأنا مضطرة لقيادة السيارة له أيضاً لذا لن أستطيع صفعه والقول له أن يبتعد عني.. ويجب أن تفهم الوضع الصعب الذي أنا فيه! أقنعه أنت بأن لدي عملاً أقوم به!

تأوهت وأمسكت بيأس رأسها النابض بالألم.. الأخوان مستعدان لتصديق أسوأ وأفظع الأمور عن بعضهما بعضاً، وهي واقعة بين نارين..

www.rewity.com
gege86

وهذا موقف رهيب..

دفعت ستارة شعرها الحريري إلى الوراء وقالت:

ـ أفضل أن أرمي نفسي تحت رحمة البحث عن عمل على التعرض من جديد لمثل هذا الاستجواب.. إن أردت أن أستقيل.

ـ لا! لا يمكنك.. لا تستقيلي. أحتاج إليك.. أنا آسف.. ربما ما جرى غلطة إيلياس.. وأنا آسف على افترائي عليك.. سامحيني لأنني أسأت الظن بك.. لقد نبذت إيلياس خطيبته منذ فترة قصيرة، وأخشى أن تكون أجراس العرس ترن في أذنيه. سأكلمه.. استريحي.. سأحمل إليك بعض الطعام لاحقاً.

تركها بسلام.. أو هذه هي نيته لأن ما دار بينهما من كلام لم يتركها بسلام البتة فقد راحت تعيد تنظيم مشاعرها المجنونة وأفكارها المشوشة. كيف لإيلياس أن يحبها في مثل هذه المرحلة المبكرة؟ إنه لا يكاد يعرفها.. و.. مررت يداً مرتبكة على جبينها، يداها أن يعتذر جارد منها بخنوع ليمنعها من الرحيل.. فقد شعرت بأنه لا يطيق رحيلها. فهل السبب هو الصعوبة التي يجدها في إيجاد موظف؟ فكما قال لها إن جميع من عمل معه غادر بعد فترة قصيرة.

والغريب في الأمر أنه يجسّد كل ما تكرهه في الرجال: أسمر، حازم، لا قلب له، يسحق خصمه بغير رحمة أو شفقة.. أما إيلياس فيجسد كل ما تحبه: أشقر، لطيف، غير خطير.. ولكن ردة فعلها الجسدية تجاه الأخوين مختلفة كلياً.. فأحدهما يتركها باردة والآخر يدفع الحرارة في دمها حتى الحمى. تنهدت واستسلمت للنوم مجدداً.

اخترق جارد عقلها النائم:

ـ أستطيع إعداد حساء مع الخبز، أم لعلك تفضلين أن أطلب «البيتزا» من مطعم ما؟

وضعت ذراعاً على وجهها لمنع الضوء الباهر من أذية عينيها.. كان

جسمها مشتعلاً من الحرارة فتأوهت.

كرر السؤال: «حساء أم بيتزا؟»

ردت بصوت أجش كسير: «حساء.. شكراً».

ـ اذهبي إلى الحمام واغتسلي، ثم نظفي أسنانك.. ولأجل السماء.. ضعي على نفسك ثوب نوم.

نفّذت ما أمرها به ولكن الغريب أنها شعرت بأنها أفضل حالاً. كانت تفتح درجاً لتأخذ غلالة نوم حين دخل جارد حاملاً صينية.

ـ يا الله!

عندما رآها بملابسها الداخلية تسمّر في مكانه وانسكب شيء من الحساء على الصينية.

اجتذبت آغاتا أول ما وصلت إليه يدها، ودسته فوق رأسها محرجة.

تمتمت: «توقعت أن تقرع الباب».

ـ أحاول الاعتياد على فكرة خدمتك، لكنه ليس بالدور السهل.. عودي إلى الفراش.. يا إلهي أكنت ترتدين مثل هذا الشيء وأنت متزوجة؟

سارعت آغاتا نحو السلامة... سترتدي فيما بعد الثوب السميك المحتشم الذي أهدتها إياه حماتها يوم الميلاد.. فلا داعي إلى الظهور جميلة أمام الديك الرومي المتعجرف.

وهذا ما ذكرها: «أكاد أموت جوعاً».

ـ لم أحضّر طعاماً كثيراً.. اعتقدت أن ارتشاف الحساء بالكوب أسهل عليك من احتسائه بالملعقة.. قطعت لك الخبز رقيقاً قدر المستطاع.. أهذا جيد؟

نظر إلى ما يحمله بريبة، فقالت:

ـ أجل.. أنا جائعة. يا الله! أنا آسفة! ولكنني سأكون على ما يرام من الآن وصاعداً وسأتمكن من العناية بنفسي. ألن تتناول الغداء؟

www.rewity.com
gege86

ـ طعامي في مكتبتي.. كلي هذا! أريدك على قدميك في أسرع وقت ممكن.

ـ حاضر سيدي.

لن يتناول طعامه معها بالتأكيد.. فلماذا تشعر بالانزعاج؟

قالت بارتباك: «شكراً لك».

قال بلهجة فيها القليل من الشرّ:

ـ ستردين لي الجميل يوماً.. فأنا لا أعطي شيئاً دون أن أتوقع ما يقابله.

ـ لا.. سيدي.

أخفضت عينيها. كان عليها أن تعرف هذا! وداعاً للأوقات الإضافية ومرحباً بأسبوع من الاستعباد.

مرت ثلاثة أيام قبل أن يطلب جارد منها إيصاله إلى مكان ما.. وبعد ذلك قضى أيامه في المكتب ولياليه في مكتبته.. في هذا الوقت لم يتصل بأية امرأة.. وهذا ما لا يناسبه.. فقد ارتدّ إلى كهف مظلم من الصمت المطبق.. وكانت آغاتا بسبب جفائه هذا قد أمضت ساعات طوال بمفردها تحاول تسلية نفسها، ولكنها لم تنجح.

ارتفعت معنوياتها يوم الجمعة التالي، عندما كانت السيارة التي تقودها تتهادى على طريق المزرعة.. بعد أيام من مواجهة رجل متجهم ستتنشق هواء الريف المنعش مجدداً.

حفّت كلارا ماريونز من المنزل لاستقبالهما.. فترجلت آغاتا لتفتح الباب الخلفي ولكن جارد بدا عابساً.

ـ جارد! يؤسفني عدم مجيئك الأسبوع الماضي. شعرنا بأننا مهجورون!

ـ إنه إحساسك أنت كلارا.. لأنني أراهن بكل ثروتي أنك الوحيدة التي شعرت بهذا.

أغلقت آغاتا باب السيارة بهدوء، ورفعت رأسها فرأت إيلياس واقفاً مبتسماً: آغاتا!

آه! يا إلهي.. لن يعجب جارد هذا الترحيب، لكنها لم تستطع منع ابتسامتها بسبب لهفته التي تشبه لهفة ولد صغير.. أدركت بأن جارد وكلارا يراقبان إيلياس بسخط، ولكن إيلياس لم يأبه بأحد إذ أسرع يمسك ذراعها ويبتسم لها مرحباً.

قال بقلق: «تبدين شاحبة».

ـ أنا بخير.. مرحباً يا جاي وبرانن.

سأل جارد: «أين بيرتا؟»

ـ لا تستحق أن ترى الحمل المسكين بعدما خذلتها بتلك الطريقة! إنها...

قاطعها جارد بهمس حاد: «أين هي؟»

وخطا إلى الأمام بشكل مهدد.. فقالت كلارا: جارد! لا تغضب.

ردت جاي ساخرة:

ـ تختبئ.. ابتلك منك خلف تنورتي.. ألا تراها؟ بيرتا.. هيا.. لن يأكلك دادي.

تجاهل جارد ابنته المتجهمة الوجه:

ـ هذا قول غبي!

ثم تطلع إلى بيرتا وقال برقة: تعالي حبيبتي.

في تلك اللحظة التي تغيّر فيها وجه جارد من الغضب الخارق إلى اللطف العميق لاحظت آغاتا كم يكره جاي وكم يحب ابنته، لكن الطفلة تمسكت بثياب جاي التي شجعتها:

ـ هيا.. اذهبي.. لن يصيح الآن.

صاح مجدداً «اصمتي يا امرأة.. توقفي عن دفع الربية إلى نفس الطفلة!»

www.rewity.com
gege86

لأن غضبها عاد إلى الظهور هرعت بيرتا إلى المنزل فقالت جاي:

- يا إلهي! بعد كل ما فعلته! قلت لها إنك لم تغب الأسبوع الماضي لأنك لا تحبها..

لوت يديها بحزن.

- أيتها السخيفة الحمقاء! أفهم جيداً خططك ومؤامراتك.

دافع برانت عن زوجته:

- جارد.. لا تكلم جاي بهذه الطريقة، إنها تبذل جهدها.

قال ساخراً: «نعم تبذل جهدها لزرع بذور الشك في رأس بيرتا.. أتظنان أنني أبله وأنني لا أفهم لعبتكما؟ أفكر جاداً باستعادة بيرتا».

قالت جاي: «لن تضع أية محكمة الطفلة في عهدتك.. الواضح أنها تخاف منك...».

- تلك غلطتك.

- لا أنوانى أبداً عن القول لها إنك لست مخيفاً كما تبدو.

- يا لك من ملاك! أتظنين أن كلاماً كهذا يساعدها؟

بدا الألم على وجه جارد.. وتساءلت أحياناً لماذا لم يذهب إلى بيرتا ويحملها بين ذراعيه ويسحرها بعينيه الساحرتين.. ما كان عليه أن ينتظرها حتى تأتي إليه.

قالت بصوت يائس وهي تحاول الانسحاب من هذا الشجار العائلي:

أرجو عذركم.

صاح جارد متوتراً:

- انتظري! ستندمين على هذا جاي.. عندما أتزوج ثانية..

صاحت جاي المتوردة الوجه غضباً:

- عليك أن تنتقي من هي أفضل من فتيات المراقص والسكرتيرات لتستطيع استردادها. إنها طفلتي أنا أكثر مما هي طفلتك.

صاح جارد: «إنها من لحمي ودمي».

- لكنها تخافك.

- السبب ما تحشين رأسها به، لماذا لا تتبنيان أولاداً كما قلتما عندما وقعت أوراق تربيتكما لها؟ فهذا سيخفف من وطأة الضغط على الطفلة.. أنتما تتعاملان معها بتملك لذا أفكر حقاً إن كان من الأفضل لها البقاء معي.

أصبح لون جاي رمادياً من شدة الصدمة:

- آه! أيها النذل! لن تستطيع هذا.

قال برانت وهو يواسي امرأته المرتعشة من الخوف:

- أطلب منك الرحيل من هنا.

قال جارد ساخراً:

- لن تجرؤ.. على أي حال.. لدي حق قانوني في الوصول إلى ابنتي.. وأنوي استخدام هذا الحق.. ها أنت الآن سيدة بروست تتعرفين أكثر فأكثر إلى عائلتنا..

قال إيلياس محذراً:

- جارد.. الزم أدبك وإلا أصدرت حكماً بمنعك من المجيء إلى هنا بتاتاً، وما هذا بأمر صعب.

ضاقت عينا جارد:

- لا؟ حاول! ستندم.

تبادل الرجلان النظرات الغاضبة.. جارد عابس، وإيلياس يعرف أن تهديده لم يكن فراغاً.

قال إيلياس: «تسبب المتاعب أينما حللت.. أنت كأمك».

صاح جارد بصوت كالرعد:

- بحق الله! كفى تهديداً ووعيداً، لأنني أكاد أفقد صبري.

أجفل صوته الراعد الجميع.. الفهد الأسود على وشك الوثوب.. كانت يداه مضمومتين بقبضتين وعلى خديه لون أحمر قاتم، وبدا جسمه

www.rewity.com
gege86

كأنه ينتفض بعنف.

قاطعتهم كلارا بحدة:

ـ أرجوكم! أوقفوا هذا الشجار الرهيب! لا أقوى على تحمله.

تمتم جارد: «أنا آسف».

ولوح باصبعه في الهواء في وجه إيلياس:

ـ لكنه من استفزني.. إنه يستفزني دائماً لأصل إلى حافة الغضب الشديد.

قال إيلياس بصوت ناعم بريء:

ـ هذا أمر سهل نظراً لماضيك.

ابيض وجه جارد الذي حاول السيطرة على أعصابه.. كانت عيناه تبرقان بغضب مشتعل.. وهو يدنو من المنزل، أدركت آغاثا أن ألمه هو ألمها وأنها تتألم لأنها تراه يتعذب على هذا النحو.

قالت جاي متذمرة:

ـ رجل شرير! أشكر الله لأنه ليس أخي! أظنه لم يعرف معنى الطفولة. فلو كانت طفولته طبيعية لفهم ابنته بشكل أفضل. لقد عمل وهو في الثامنة من عمره في مرابط الخيل في «يوتوبيلو رود».

استوعبت آغاثا هذا الدليل الجديد على تعاسة طفولة جارد.. إن جو هذه العائلة الرهيب يجعل حياتها الموحشة في الماضي حياة مرضية. عندما همت بالمسير نحو البتلي لتقودها إلى الكراج، أوقفها إيلياس وتوسل إليها أن تتناول العشاء معهم. وافقت بسرعة مع أنها انتبهت إلى نظرة كلارا وعدم موافقتها وما وافقت إلا لتجنب إلحاح إيلياس الذي سيبدو حميماً جداً وللتخلص من يديه اللتين كانتا تمسكان بذراعيها.

لكن كيف لها بحق الله أن تقضي أمسية كاملة مع أناس ليس لديهم غير التراشق بالكلمات؟ لا تستغرب أن يكون لسان جارد بهذه السلاطة مع الجميع فهو دفاعه الوحيد.. كانت جاي عن قصد أم عن غير قصد تقلب

ابنته عليه.. لو عرفت السبب الذي جعله يوكل أمر رعاية ابنته إلى أحد لفهمت أشياء كثيرة عن شخصية جارد. فجأة أحست بحاجة ملحة إلى معرفة حقيقته.. كل الأدلة تدينه وتصفه بالقسوة والحقد.. لكن شيئاً ما جعلها بحاجة إلى مزيد من الأدلة قبل أن تحكم عليه.

كانت وجبة العشاء ويا للغرابة مرضية بسبب عاملين: أولاً لأن الجميع كانوا ودودين وثانياً لأن جارد لم يكن موجوداً.. ذلك المساء، كانت بيرتا منعزلة مع أن عينيها كانتا تشعان ذكاء وهي تنظر إلى كل الموجودين عندما تعتقد أن أحداً منهم لا يراقبها.. ولاحظت آغاثا أن طريقة نفرسها بالآخرين تشبه طريقة جارد. كلاهما يبحث في أعماق الآخرين. عندما كانت العائلة تحتسي المرطبات قبل العشاء، تقدمت بيرتا ووقفت قرب مقعد آغاثا فلمست شعرها المعقوص... عندئذ شعرت بالشبه بين الطفلة وأبيها في الطريقة التي كانت تستكشف فيها شعرها الحريري.

أطبقت يد صغيرة حول عنق آغاثا ثم جلست بيرتا في حضنها وهي تضع اصبعها الصغيرة في كوب العصير الذي تحمله. تجاهلت آغاثا عمداً ما تفعل لأنه نوع من الاعتراف بوجود ما يوتر الطفلة.

لكن تلك اللحظة لم تدم طويلاً إذ تمتمت جاي بشيء عن موعد النوم فجرت الفتاة الساخطة إلى الطابق العلوي.. فكرت آغاثا أن جاي تبعد الطفلة كلما حاولت الصغيرة التقرب من أحد.

بعد العشاء، عادت آغاثا إلى منزل السائق. كانت ليلة غارقة بنور البدر الفضي.. في آخر الممشى تقع البحيرة.. وهناك رأت جارد واقفاً وهو ينظر إلى الماء. بدا طيفاً صلباً منعزلاً وحيداً.. لم ينعرف إلى الحب قط.. فجأة طغى على قلبها شعور عميق بالشفقة. أن يكون للمرء أطباع جارد اللاتينية المتوحشة وأن يرضع المرارة من ثدي أمه لأمر غير محبب أبداً خاصة وهو يرى أن شخصاً آخر يرث ما هو حقه.. مع ذلك فجارد

www.rewity.com
gege86

ثري.. فلماذا لا يشتري لنفسه مكاناً كهذا؟ فلو اشترى منزلاً كهذا لاستطاع استرداد بيرتا.

تنهدت آغاتا.. لأن شراء منزل أمر غير كاف! يجب أن يحصل على مزرعة ماريونز.. جارد خافيه دونيمز لا يحب أن يعارض رغباته أحد.

في اليوم التالي سمعت آغاتا شجاراً عائلياً آخر. كان جارد قد قاد السيارة بنفسه ليرافق بيرتا إلى حديقة الحيوانات في المنطقة.. عندما طلب المفاتيح عرضت عليه أن تقود السيارة لكنه رفض بقوة. وأحست آغاتا أنه يريد ابنته لنفسه فقط.. وكانت تحضر وجبة غداء حين سمعت السيارة ثم ما لبث أن سمعت صوت بيرتا السعيد وهي تقول مبتهجة:

ـ رائع! رائع! رائع! إنه أجمل يوم أقضيه مع دادي!

ضحك جارد: «هاي حبيبتي!»

رفع بيرتا التي صاحت بحبور.

سألها: «ما الذي أعجبك أكثر؟»

ـ أعجبتني القلعة والأرجوحة

التفت ذراعاها الصغيران حول عنق جارد وأضافت:

ـ آه! والمنزلق، والدائرة، والقطار..

ضحك ضحكة مشوقة توقف القلب، نظرت آغاتا إلى وجهه فإذا به يختلف كل الاختلاف عن جارد الذي تعرفه.. إذن هكذا يبدو عندما يكون سعيداً؟.. لم تستطع انتزاع نظرها عن الأب وابنته.. غمرتها موجة شوق وتألمت لأنها حرمت من هذه السعادة.

سأل بلطف: «هل نعود إلى هناك مرة أخرى حبيبتي؟»

ـ أجل.. الآن!

ـ طمّاعة! سامحتني إذن لأنني لم آت لرؤيتك؟ هل فهمت السبب؟

ـ أجل.. عرفت أنك كنت تقوم بعمل مميّز.. فهذا ما قاله لي آغاتا.

ـ حقاً؟ وهل تحبين آغاتا.. حبيبتي؟

ـ أجل أحبها.. لماذا لا تخرج معنا في المرة القادمة؟

رد بحرارة: «بالتأكيد.. والآن، اذهبي لتأكلي. بعد الوثب والقفز نحن بحاجة إلى الطعام».

هرعت جاي إليهما والذعر على وجهها:

ـ جارد! ماذا فعلت بالفتاة؟ أنظر إلى فستانها!

ـ ألم أطلب منك أن تلبسيها سروالاً من الجينز؟

ـ ليس لديها بنطلون.

ـ حسناً.. يجب أن يصبح عندها سراويل.

ـ إنها فتاة!

ـ بإمكان الفتيات أن يكن مغامرات كالفتيان. أرفض أن ترتدي ابنتي دائماً ثياباً وردية.

عندما أنزل بيرتا من بين ذراعيه لاحظت آغاتا كم كانت متسخة.. لقد تحمل الفستان نشاطات هائلة ذلك الصباح! وبدت بيرتا مرتبكة تلوي خصلة من شعرها على اصبعها وتضعها في فمها.

قالت جاي بصوت مذعور:

ـ ماذا حدث بيرتا؟ هل أوقعك أحد الحيوانات على الأرض؟

قال جارد ببرود:

ـ لم يكن لدينا وقت لزيارة الحديقة.. فذهبنا إلى «أرض المغامرات».

ـ ماذا؟ قلت لك إنها صغيرة كثيراً على أمور كهذه..

ـ كلام سخيف! أمضينا وقتاً رائعاً.. أنت تحمينها أكثر من اللازم.. استمتعت بكل دقيقة.

قالت جاي بعناد: «حقاً بيرتا؟».

تمتمت الفتاة متلعثمة: «أنا.. أنا..».

صاحت جاي:

www.rewity.com
gege86

ـ هاك . . ! أخفتها مرة أخرى . .

ـ اللعنة!

أمسكت جاي بيرتا وضمتها بعنف. فسحقت وجهها في تنورتها، وقالت كمن تهدئها:

ـ هاك . . هاك يا ملاكي . . جاي هنا . . أنت سالمة الآن . . فلنذهب لنجد بعض شراب الشوكولا.

صاح مجدداً: اللعنة!

ـ طلبت منك قبل الآن جارد ألا تطلق اللعنات أمام الطفلة . . ما يقوله دادي كلام بذيء ملاكي . . أنت . .

تمتم جارد من بين أسنانه:

ـ فليلهمني الله الصبر والسلوان.

أخفض رأسه على صدره وأطلق زفرة كبيرة، ثم توترت كل عضلات جسمه فارتدّ ليسدد لكمة إلى جدار منزل السائق الخشبي . . من تحت ذراعه انكشف قناع وجهه الذي بدا عليه البؤس والقنوط الأسود، عندئذ تدفق حزن رهيب في نفس آغاتا فشعرت بغصة كبيرة واغرورقت عيناها بالدموع . . هذا إذن هو جارد الحزين، المتألم.

لأنه غير قادر أو لأنه لم يختر عمداً أن يرعى ابنته، أصبحت غريبة عنه وباتت الصغيرة غير قادرة على معرفة من تراضي حين يقع خلاف بين والدها وبين المرأة التي تعتبرها أماً . . ليته يستطيع هو وجاي تسوية خلافاتهما! فمن السخف أن يمزقا عواطف الطفلة ونفسيهما على هذا النحو.

ارتدت آغاتا عن نافذتها لأنها لم تقو على رؤية جارد وهو يقاتل شياطين غضبه. لقد زجّ نفسه في هذا الوضع الذي يصعب عليه الخلاص منه. جارد رجل متقوقع على ذاته لا يُظهر مشاعره الحقيقية بسهولة . . ولعل من الأفضل أن يعبّر عما يجيش في صدره لأن الناس عندئذ

سيتعاطفون معه. ليتها تقدر على القول له إن الناس سيحبونه أكثر إن خفف من إظهار ذاته وكأنه شخص لا يقهر!

لم تعمل كثيراً في عطلة الأسبوع لأن براتن هو الذي أقلّ العائلة إلى الكنيسة يوم الأحد في سيارته، وكان ينوي إيصال كلارا إلى منزلها في برايتون فيما بعد والبقاء هناك حتى الغداء . . وحارت آغاتا بين أن تقرأ قصة الحب الجديدة التي اشترتها أم تقوم بعمل آخر . . لكنها شعرت بالملل فبعد خروج جميع أفراد العائلة استحسنت العمل باقتراح إيلياس الذي نصحها باستخدام المسبح الداخلي الساخنة مياهه . . لكنها قررت ألا تعرض جسدها وهي مرتدية المايوه عندما يكون موجوداً . . لا تريد أن تُتهم بأنها تثيره.

جعلت النباتات الاستوائية الغريبة وشجيرات النخل الصغيرة من قاعة المسبح كالغابة. ما إن دخلت إلى الجو الرطب الحار متوترة حتى سوّت بزة السباحة الخضراء الكلاسيكية وتسللت إلى المياه الدافئة تسبح عليها تغسل توسها وتوترها. طافت بهدوء فدار شعرها حولها كطحلب الماء . . أزعج صوت حركة الماء صفاء ذهنها، فاستقامت وأسرعت تتحرك في الماء.

ـ مرحباً!

ـ إيلياس! خلتك في برايتون!

ـ لم تعجبني الفكرة . . ولم أذهب.

ـ لكن . .

ـ أحبّ فضاء بعض الوقت معك.

ابتسم لها ودس يده حول خصرها. سبحت مبتعدة:

ـ لا!

ـ لا تكوني عدائية! الجو رائع. كلارا غاضبة من جارد لأنه كان كئيباً ففضل الانطلاق على صهوة جواده على مرافقتها إلى الكنيسة هذا

www.rewity.com
gege86

الصباح . . ولكنه على أي حال صعب المراس حالياً بحيث يعجز المرء عن مكالمته . جاي وبرانن متوتران لأنه هنا، وبيرتا غاضبة . أنا وحدي العاقل . . فلنشرب شيئاً ولنتحدث .

ـ أنا وأنت؟ لا . . فأنا . .

ـ آغاتا . . يجب أن تكوني متمدنة! أنا وأنت فقط نتحدث قرب المسبح . . فهل هناك ما هو ألطف من هذا؟

فكرت آغاتا بالموقف بقلق فهي تعرف أن عليها أن ترفض . . لكن في عقلها تدور أسئلة عديدة لا ردود لها وقد تكون هذه هي الفرصة المناسبة لتسوي الأمور في عقلها . . ضحك إيلياس في وجهها لأنه عرف أنها بدأت تلين . اختفى في المنزل ليحضر شيئاً من العصير . . وهما يغمسان أقدامهما في المياه الدافئة الحريرية ويحتسيان الشراب، تحدثا حديثاً عادياً لفترة . في هذا الوقت راحت آغاتا تحاول صياغة سؤالها الأول . . لكنها توقفت عندما تنحنح إيلياس عمداً وسأل :

ـ هل توصلت إلى قرار بشأني؟

علا وجهها الحذر : «بم؟»

لمس خدها برقة : «أنت تمزحين، أريد الزواج بك».

ـ إيليا . . ! أنا . .

إنه مجنون! ما التشجيع الذي أظهرته له حتى يفكر في الزواج بها؟ إن الوفاق والصداقة مع أي شخص لن يقود إلى الظن بأن بين هذين الشخصين حباً مشتركاً؟

ـ اصمتي آغاتا . . هه؟ راقبتك . . أنت تحبين المزرعة . . رأيتك تشرقين حين تسيرين فوق أرضها . . أنت هادئة ومراوغة بحيث يتملكني اندفاع غامر للعناية بك . عندما مرضت أدركت مدى اشتياقي لك .

ذهلت آغاتا . . إنه يعني فعلاً ما يقول!

ـ لكن . .

ـ فكري في الأمر . . واعلميني بالرد الليلة . . أنا بحاجة إلى ردك بسرعة . . أريد الزواج في أسرع وقت ممكن .

قبل أن تستطيع منعه عانقها :

ـ ما أروع أن تكوني هنا . . في هذه الصحراء الحارة بالحقد، أنت كالواحة الباردة . . هل آتي إلى غرفتك لأراك بعد العشاء؟ في التاسعة؟ لتخبريني بقرارك .

ـ أستطيع إبلاغك به الآن .

ـ لا . . بل تريثي أولاً . . قد تصبح مزرعة ماريونز مزرعتك ومزرعة أولادك من بعدك . فكري في الأمر . . ستصبحين امرأة غنية تعيش في الريف مع عائلة . . . فكري آغاتا . . وأعلميني بردك الليلة .

نظرت مفكرة في وجهه اللطيف ووجدت أن من الأفضل رفضه بلطف . لقد بدا لها ملهوفاً وهي لا تريد أن تجرح أحداً . . وافقت بهدوء :

ـ الليلة إذن .

ـ ليتني غير مضطر للذهاب الآن . . إنما علي الذهاب .

أمسك ذقنها يعانقها عناقاً سريعاً :

ـ أحبك . . يجب أن أسرع!

لاحقت انسحابه مفكرة . لكن جارد قطع حبل أفكارها بصوته :

ـ أوه . . أهنتك! كنت رائعة!

ارتدت إليه مذعورة فرأته يظهر من خلف شجرة نخيل . لحظتئذ سرت في جسدها حرارة غضب قوية دفعت بشرتها إلى الامتقاع . كان جارد يرتدي قميصاً أبيض مفتوح الياقة وأكمامه مرفوعة عالياً حتى أعلى الذراع، بحيث رأت عضلاته منطوية على صدره وكان سرواله الضيق يخفي عضلات قوية . . وجدت آغاتا صعوبة في تجنب النظر إليه وطغى عليها الحرج .

قال جارد :

www.rewity.com
gege86

ـ أنا مسرور لأنه ما زال لديك الجرأة على التورد خجلاً.

لم تحاول الدفاع عن نفسها، بل رفعت ذقنها بتحدٍ وبدأت بالابتعاد ولكنها وجدته يسد طريقها.

ـ إذن أنت لم ترسمي شيئاً بشأن إيلياس! مع ذلك أنت واحة باردة في صحراء حارة؟ أنت تبعثين الشعر في نفس أخي الساذج؟

قالت بهدوء: «أرجوك.. دعني أمر».

ـ طلب زواج في مدة قياسية. أحسنت صنيعاً! هل ستوافقين الليلة؟

ـ لن يكون بيننا ما هو غير سوي.

ـ الغي اللقاء إذن.

ـ لن أفعل بالتأكيد. أنا مستعدة للعمل بكد معك، إنما لن أسمح لك بالاستيلاء على وقتي الخاص!

برقت عيناه بشكل خطير:

ـ وإذا طلبت منك أن تقودني إلى مكان ما.. الليلة؟

تنهدت: «سأقلك لأنه عملي. إنما هذا لن يمنعني وإيلياس من الاجتماع في وقت آخر».

قال مفكراً: «لا.. لن يمنعكما».

ارتجفت آغاتا وأحست أن في داخله شيئاً تغير، فجعل عينيه بركتين سوداوين تجذبانها إلى سحرهما.. بحيث لم تستطع أن تتحرك وهو يخطو نحوها.

وقف بحيث كاد جسماهما يتلامسان.. وكان عليها أن ترفع رأسها لتنظر إليه استجابة لقدرته الرهيبة على تسميرها في مكانها.. سحب نفساً قوياً ولامست يده خصرها فاقشعر جسمها.. حاولت آغاتا عبثاً إبقاء أنفاسها طبيعية فهي تعرف أنه سيسخر منها إن لاحظ تجاوبها.. لكنه كان يعرف.. وابتسم.. ابتسامة العارف المنتصر.. وسخر منها بعينيه.

قال متمتماً: «لا تتصوري أبداً أنك تحبين إيلياس. لديك مشاعر

جيّاشة لا تسمح لك الارتباط برجل يريد الزواج بك بكل برودة أعصاب».

التهبت عيناها لأن كلماته القاسية أطلقت عقالها من سحره المميت:

ـ ألم يخطر ببالك أنه يحبني؟

ـ رغبته في استفزازي أعظم بكثير وأعمق من أية عاطفة قد تتصورينها.

فسألت بلهجة باردة:

ـ وهل من شيء آخر؟

ـ أجل.. ستقولين له الليلة إنك لن تتزوجيه.

قالت برقة: «وهل سأردّ عليه بهذا؟ سنرى.. سيدي».

سحب جارد أنفاساً مسموعة فاستغلت آغاتا عدم قدرته الظاهرة على السيطرة على الموقف لتتسلل مبتعدة عنه.. لكن ما لا تعرفه أن كلماتها العنيدة تمادت كثيراً.. وأن جارد أخذ يخطط لخطوات درامية.

***

www.rewity.com

gege86

٦ ـ فخ الإغواء

كانت آغاتا بحاجة إلى التفكير لتقوى على مواجهة الموقف.. لماذا بحق الله تحدث جارد؟ تنهدت.. لقد قدر على إغضابها غضباً مجنوناً؟ وفي الوقت ذاته لم تكن واثقة من اللعبة التي يلعبها إيلياس.. هل يقوم بكل ذلك لمجرد إغاظة جارد؟ هذا أمر غير مستبعد عنه نظراً للكراهية التي تعتمل في قلبي الأخوين.. وهو كما لاحظت ينال النتائج التي يرغبها.. يجب أن تعرف الحقيقة فلهذا فرق كبير في الطريقة التي سترفض بها إيلياس الليلة.

فكرت وهي تسير في إعلان إيلياس.. إن السير هو الترياق لكل متاعبها ولأن الطقس عاصف اضطرت إلى ارتداء سترة سميكة وسروال صوفي ثم جدلت شعرها في ضفيرة سميكة لتبعده عن عينيها.

كانت تسير الهوينا وبداها في جيبيها. دارت بتكاسل حول جدران حديقة المطبخ مارة بمساكب الكرفس التي شقت أوراقه الخضراء طريقها إلى الكون والأرض القاتمة الغنية بالشمندر والأرضي شوكي. وكالعادة، استولت على نفسها البهجة والحبور فالنباتات تكمل دورتها الطبيعية بهدوء متجاهلة فوضى الناس.

لاحقت أصابعها زخرفة أحد أوعية الزرع المليئة باللاوند.. ومر بصرها بالحديقة المحمية فإذا كل شيء في صفوف منتظمة: التوت والتفاح والتوت البري، والكمثرى «الإجاص». ليس للكولومبي المرتد

المتوحش مكان في حياتها.. ومن الأفضل لها أن تفهم هذا.. ووجودها مع جارد كالركوب على جواد جامح يدور بها في اتجاه واحد بشكل عشوائي. يكسوها بخمار أسود، ثم فجأة يقلب دنياها رأساً على عقب.. مع ذلك فالرحلة ركوباً مدروسة.. لا شيء فيها عشوائي أو غير منظم أبداً.. وهكذا هو جارد!

تابعت آغاتا المسير.. رأت أشجار التين محمية من الجليد بمساكب من الشجيرات الشائكة، هذا ما نحتاج إليه.. بل ما احتاجت إليه دائماً.. محب حنون يحمي هشاشتها وضعفها.. قد يكون إيلياس هكذا. لكن.. توقفت أمام البوابة التي تفضي إلى خارج حديقة المطبخ.. ثم ارتدت تتأملها وتنظر إلى المنزل من الخلف.. ما أروع العيش في مكان كهذا.

دعتها الحقول والأيكة أمامها. ففكرت في قطف بعض أزهار الخطمي والآس البري وبعض الزعرور الأبيض لتزين غرفتها.. إنما أولاً ستنفض عنها كل توتر وتبعد كل الشاكل عن رأسها.. ولتحقيق هذا ستتسلق السياج وتتوجه إلى البحيرة الصغيرة.

الأرض التي تسير عليها هي ملك إيلياس.. ولكن تناهى إلى مسمعيها أصوات من البعيد وفيما كانت واقفة على القمة رأتهما: جارد وبيرتا. جارد يركض بأقصى سرعته على شكل دائرة واسعة وهو يحمل في يده باقة ورد برّية. وبيرتا تركض وراءه صارخة تحاول التقاط الزهور المتطايرة من يد جارد. أكمل الدائرة ولحق بالصغيرة من الخلف فاختطفها بين ذراعيه ورماها في الهواء.. ثم بدت تتوسل إليه، فأجلسها على كتفيه وأخذ يركض بها باتجاه آغاتا.

وقف مسمراً في مكانه وعلت تقطيبة سوداء جبينه.. ولكن بيرتا حثته على المضي.

ـ مرحباً آغاتا.

www.rewity.com
gege86

ـ مرحباً ملاكي النظيف.

أنزل جارد ابنته وأجلسها على غصن شجرة قرب آغاتا:

ـ التقينا ثانية.

ـ أجل.

ـ ماذا ناديت ابنتي؟

عضت آغاتا شفتها: «ملاكي النظيف».

ـ اشرحي المعنى.

ـ نحن.. قمت أنا وبيرتا مرتين بنزهة سيراً على الأقدام وفي كل مرة اتسخنا وبتنا بحاجة إلى تنظيف قبل عودتنا. و..

بدا لها ما ترويه سخيفاً، فترددت.

ـ هيا.. تابعي.

ـ توقفنا قرب مغسلتي وأخذنا نغني «تنظيف تنظيف.. تنظيف سريع».

أثار هذا الضحك في نفس بيرتا التي صاحت بسرور وتبادلت نظرة تآمر مع آغاتا:

ـ فتيات وسخات!

قال جارد: «يبدو لي هذا أمراً مرحاً».

تذكرت آغاتا أنها عرضة لغضب جاي الموسوسة بالفتاة.

قالت: «عذراً».

كادت تتركهما وشأنهما لكن بيرتا صاحت وجعلتهما يلتفتان إليها.

ـ أنظرا إلي!

سارع جارد ليقف تحت الغصن، فقد قررت بيرتا أن من المرح أكثر أن تتعلق به وتتشقلب.

سألت آغاتا بلهفة: هل هي بخير؟

ـ لا تبدئي بهذا.

ـ آسفة.

ـ اللعنة! لا تذهبي.. بيرتا.. حبيبتي.. هل نذهب إلى صيد السمك؟

ـ عظيم.. التقطني!

رمت نفسها بثقة عن الشجرة ليلتقطها الأب الذي وضعها على ظهره وسأل آغاتا:

ـ أتأتين معنا؟

صاحت بيرتا وعيناها السوداوان تتراقصان.

ـ أجل.. أجل.

هكذا يبدو جارد سعيداً.. ابتسمت موافقة وسارت قربه.. ولكنه كان يصبّ كل اهتمامه على ابنته وما تحتاج إليه وهذا ما أراح آغاتا من الأسئلة المحرجة ومن نظرته الثاقبة.

قال يشرح لابنته:

ـ.. من هناك كان الغزال يأكل الأشجار الصغيرة.

ـ قتل برانن الغزال.

ـ أقتله؟

ـ أجل.. وسيقتل الأنذال.

ـ الأنذال؟

ـ آه.. لأنهم يأخذون الفتيات الصغار من بيوتهن.

أحست آغاتا بتوتر جارد، لكنه قال برقة:

ـ أخبرني عن هؤلاء الأنذال.

ـ سيقتل برانن «النذل» إذا أخذني.

ـ هكذا إذن.

فقد وجهه حيويته وأصبح قناعاً بارداً.. النذل.. كان برانن يشير إلى جارد..

www.rewity.com
gege86

أضافت بيرتا لغوها الطفولي:

- يريد النذل أن يأتي إلى حفلتي.

- وكيف يعرف أنك تقيمين حفلة؟

- لأنه يعرف.. لذلك سأرحل.

- لكن بيرتا.. ذلك عيد مولدك..

تلاشى القناع وحل مكانه القنوط. لماذا على الناس أن يسببوا الألم لبعضهم بعضاً؟

- أعرف.. ولكن براتن يقول إن النذل لن يراني. أنت لا تريد أن تؤذيني.. أليس كذلك دادي؟

قال بصوت ملؤه الألم: «لا».

- أنزلني! أنزلني! البحيرة!

راقب جارد آبته تجري نحو البحيرة الصغيرة وهناك راحت تبحث بين الأعشاب عن عصا مناسبة لتستخدمها في صيد السمك. ربط جارد لها خيطاً ومشبك ورق، عندئذ نزلت بيرتا إلى المياه وكانت تتوقف بين الحين والآخر لتتأمل شيئاً في المياه الضحلة أما جارد فراح يراقبها بوجه كئيب.

قالت آغاتا: «من الأفضل أن أعود».

- أتفضلين صحبة إيلياس؟ آه.. آسف! سامحيني لم يكن لكلامي حاجة.. أنا حساس قليلاً في هذه اللحظات.

- ظننتك تفضل الانفراد بابنتك.

- ابنتي؟ أم ابنة جاي؟ كيف ترينها آغاتا؟

- إنها ابنتك بكل تأكيد.. انظر إليها.. شعرها أسود كشعرك وفيه ذلك البريق الأزرق. وهي قوية وجميلة، وحريصة وذكية جداً وحساسة.. أوه!

وضعت يداً على فمها رعباً مما قالته. نظر إليها ساخراً:

- مهلك! ستفسدين سمعتي! لم يسبق لأحد أن اتهمني بأنني شخص

«حساس».

- هذا لا يعني أن هذه الميزة غير موجودة في أعماقك.. أليس كذلك؟

- في بعض الأوقات أشعر أنني حساس.. اجلسي معي قليلاً.

وربت على جذع شجرة.

قالت آغاتا لنفسها: سأطيعه لأنه رئيسي.. ولأنني أشعر بالأسف عليه.. ولو عرف هذا لشعر بالإهانة ولارتدَّ متوارياً وراء ملاحظات حادة سليطة.. بينهما حواجز كثيرة: علاقة العمل وتحفظها الطبيعي، وصلابته واكتفاؤه بذاته. مع ذلك، هي حتى الآن قادرة على وصفه بالمحروم البائس. وما ألطف احتضان رأسه إلى صدرها لتهدىء من جروحه العميقة.. لطف؟ ولكن ذلك سيكون جحيماً بالنسبة لها.. حباً بالله.. كيف تشعر بالحنان وبرغبة في حماية مثل جارد دونيمز! لا يمكنها احتضان فهد أسود مفترس أو سمكة مفترسة جائعة!

سأل: «أيعجبك المكان هنا؟»

ردت بحماس:

- أحبه.. أسير قدر أستطاعتي كل يوم.. الجو يدفع الهدوء إلى الأعصاب.

ارتفع حاجباه قليلاً: إذن أنت بحاجة إلى تبريد مشاعرك أيضاً؟

نسيت للأسف كم هو عقله جاد الملاحظة:

- يوترني أحياناً شيء ما.

حركت ابتسامة بطيئة شفتيه:

- بالتأكيد.. فأنت عديمة المشاعر. حسناً، أعترف بأن لدي مشاعر وهي في بعض الأحيان حادة جداً. وقد تمنيت مرة لو كنت هادئاً كإيلياس أتصدقين هذا؟ لا شك أنني كنت وقتذاك يائساً كجلاد لا يعرف كيف يعقد المشنقة.

حاولت آغاتا إخفاء ضحكتها فقالت:

www.rewity.com
gege86

ـ نحب بيرتا هذا المكان.

ـ أجل.. وستحبه أكثر فأكثر لو سمحت لها جاي بالعودة إلى البيت وهي متسخة.. معك ومعي فقط تكتشف بيرتا أن هناك عالماً غير الأرصفة النظيفة ومراكز التسوق.. قضيت أنا وأبي دائماً بعض الوقت معاً، هنا. هل أخبرك إيلياس قصتي؟

والتوى فمه سخرية.

ـ حدثني عن أمك وعن عائلتك وعدم قبولهم بأمك فرداً من أفراد العائلة؟

ـ كافحت أمي سنوات حتى استحصلت لي على اسم ماريونز. عرف والدي أنني ابنه وعرف كم تحبه أمي.

ـ لكن إيلياس قال...

وصمتت عندما رأت النظرة المتوحشة في عينيه، ثم قال بصوت هامس:

ـ أتصور ما قاله.. إنه يتعب أمي بالمناقلة.. وقد علقت هذه الفكرة في ذهنه من جدنا ماريونز.. لكن هذا غير صحيح! وفي يوم ما سأنظف اسمها، فأمي ظلت مخلصة لحبها الأول ولم تنظر إلى رجل آخر.

صمتت آغاتا وحاولت فهم سبب معاداة إيلياس لبيرديتا دونيمز.

ـ لو قبلت بك عائلة ماريونز ابناً، فهل أنت من كان سيرث المزرعة والأرض؟

ـ لا.. آترين.. أورثني وأورث لبيرديتا كل شيء تعويضاً عن البؤس الذي عانيناه.. المشكلة الوحيدة أنه مات قبل جدتي.. فكان أن بقيا يملكان المزرعة، والحصص، والصكوك، والضمانات..

تنهد بيأس:

ـ كرها قبولي وأمي في العائلة.. وعملا على ألا تشملنا وصيتهما.. وبعد وفاتهما ورث إيلياس كل شيء.

ـ عرفت أنك جئت للمشاركة بجنازة أبيك.

سألها بلهجة باردة كالثلج:

ـ وهل أخبرك إيلياس كيف عوملنا؟ وكيف دفعت أمي بالأيدي عندما ترجلت من سيارتي؟ تعرف أسرة ماريونز كيف تجعل الناس يشعرون بأنهم غير مرغوب فيهم.

ـ قال إيلياس...

إنها قصة مختلفة.. فمن الصادق؟ ألعل كل واحد منهما صادق؟

ـ إيلياس شخص غير موثوق به.. هل رأيت يوماً أحد الناس يتعمد إثارة فضيحة في جنازة الرجل الذي نحب؟ كنا غارقين بالحزن على والدي.. من أين تعرضت لهذا؟ السبب دفاعي عن أمي!

مرر إصبعاً غاضباً إلى خده الحامل ندبة، ثم إلى أنفه المكسور:

ـ لن أنسى ما حييت ذلك اليوم المذل الرهيب.

تلاعبت آغاتا ببؤس في أزرار سترتها.. وحدقت إلى الفضاء.. من يجب أن تصدق؟ تعرف من تريد أن تصدق، لكن.. أهي بهذا تسمح لعواطفها بالتأثير في رأيها؟

سألها فجأة: «هل أخبرك عن السبب الذي جعله يسرع في الزواج؟»

ـ عفواً؟

ـ آغاتا.. إن لم يتزوج إيلياس في نهاية هذه السنة سيرث كل شيء ابن عم لم نره قط وهو أقرب وريث إلى العائلة.. ففي القرن السابع عشر كان اسم عائلة ماريونز مهدداً بالانقراض بسبب وريث يكره النساء ولكنه أخيراً اقتنع أن يتزوج عندما ربط والده شرط الزواج بالميراث. ومنذ ذلك الوقت يخسر أي وريث لماريونز حقه بالإرث إن لم يتزوج وهو في الخامسة والعشرين، هكذا ترين أن دوافع إيلياس للزواج مريبة.

نفرست عيناه في وجهها، ثم سأل بمرارة:

ـ يا الله! أتظنينني أمزح؟ هذا ما يفعله في كل مرة.

www.liewity.com
gege86

ـ كل مرة..؟

ـ لست المرأة الوحيدة التي تقدم بطلب يدها.

ـ أتحاول دفعي إلى إساءة الظن به؟

قال ببرود:

ـ ما أقوله صحيح.. إسأليه، يريد زوجة، آغاتا.. بسرعة.

قالت بهدوء: ربما أحبني.

ـ إنه لا يحبك بالطريقة التي.. التي تريدين بها الحب. لا يمكنك التفكير في عرضه على نحو جاد.

أمسكت يده معصمها بوحشية فإذا أصابعه تكاد تقطع لحمها الطري:

ـ لن تفعلي!

صاحت: أتركني! أنت تربكني.. أشعر بأنكما تستغلانني لمآرب أنانية خاصة! ثم.. ماذا حدث للأخريات اللواتي طلب يدهن؟ هل رفضنه؟

رد بهدوء: «أجل.. أقنعتهن بهذا»

إذن الحقد الصرف وحده هو الذي يجعله يمنعها من قبول عرض إيلياس.. النوت شفتاها باحتقار. تلاقت عيناها المزدريتان بعينيه، لكنه أشاح بوجهه وكأنه غير قادر على تقبل احتقارها.. سحبت يدها من أصابعه التي فقدت الحياة وابتعدت عنه بهدوء شامخة الرأس.

سمعت صوت ماء.. فارتدت لترى بيرتا جالسة في شبر من الماء تضربه براحتيها وجارد مقرفص قربها وهو يمسح على شعرها بذهول غير عابىء بملابسها التي تبتل.. ستجن جاي حين تعود الطفلة إلى البيت.

بيرتا بحاجة إلى من يرعاها على ألا يكون هذا الشخص متطرفاً.. يعمل على إقامة توازن بين جاي الكثيرة الوسوسة بالنظافة وصاحبة الأفكار المحدودة، وبين جارد الذي يسره كثيراً أن تتصرف ابنته بطريقة غير تقليدية.. آه! ليتها تساعد بيرتا.. ولكن عندما ترفض طلب إيلياس كيف

ستقدر على البقاء سائقة لجارد.. سيحرجها هذا الأمر كثيراً.. لم تعرف أتحب جارد أم تكرهه ولكنها تعرف أنها ستضيع دونه.

عندما يأتي إيلياس إلى بيت السائق ستعرف ما إذا كان جارد صادقاً وعليها أن تسأل عن صحة رواية بيرتا التي قالت إنهما لن يدعوا والدها إلى حفل عيد مولدها.. إذا كان الأمر هكذا فهذا يعني أن في هذه العائلة شراً كبيراً هو أكثر مما تصورت.. هي في هذه اللحظات لا تثق بأحد منهم.

في السابعة والنصف من ذلك المساء، بدأت بتقطيع الخضار لتناول عشاء خفيف.. سيحضر إيلياس في التاسعة وهذا ما سيمهلها وقتاً لتناول الطعام وللتنظيف قبل أن يصل.

انزلقت يدها وكادت تقطع إصبعها بسبب الطرق العنيف على الباب. نظرت إلى ساعتها ومسحت يديها بميدعتها.. لقد بكّر في المجيء.

نادت: «أدخل إيليا.. الباب غير مقفل».

ماتت ابتسامة الترحيب على شفتيها عندما رأت حاد.. بدا أسود أنيقاً ووسيماً في بذلة رسمية. كان هادئاً، مرتباً، متكبراً.

قالت بحدة: «نعم؟»

ارتفع حاجباه بتساؤل وسأل بصوته العميق:

ـ لماذا تقولين نعم؟

ارتدت متوترة وراحت تكمل تقطيع الفطر، ثم أخذت حذرها في استخدام السكين عندما شعرت به وراءها.. كهرب توتر حاد الجو في المطبخ، وحذرها من قربه الشديد منها. أخذت حبة فلفل حمراء وبدأت تقطعها بحذر.

سألت ببرود: «هل تريد شيئاً.. سيدي؟»

ـ بإمكانك قول هذا.. ألديك ما أشربه؟

ـ في البراد.

ـ أهذا عشاؤك؟

www.rewity.com
gege86

ـ أجل.

ـ يبدو جيداً. لم آكل، أتستطيعين الاستغناء عن شيء منه؟

إنه يفسد عليها أمسيتها! وهو آخر من تريد قضاء وقتها معه.

ـ لن تتمتع به.. سأتناول خضاراً مقلية.

ألقى نظرة على ما قطعته.. الجزر المقطع، والقنبيط الأحمر، والبطاطا والفلفل والفطر.

ـ إنه طعام صحي وهو يكفيني.. شكراً لك.

اللعنة! صبت زيت الزيتون في المقلاة. تمتم في أذنها:

ـ أحضرت لك عصيراً.

جعلتها أنفاسه التي لفحت وجهها تضطرب.. عليها أن تتماسك.. حقاً.. فهي ليست كسائر النساء اللواتي يقعن فيه كما تقع أخشاب لعبة البولنغ.

رمى سترته على كرسي، ورفع نفسه على كرسي مرتفع..

تمتم همساً: «خسنا.. هل ستبقين عندي سائقة؟»

ـ ربما لا.

قلبت الخضار في المقلاة حتى أصبحت بنية ذهبية اللون، شهية المنظر، ثم وضعتها في طبقين.

قال: «هكذا إذن.. إنه طعام لذيذ على ما يبدو».

وضعت الطبقين على الطاولة وحملت كوباً من الكوكا كولا.

قالت بأدب: «أرجوك اجلس.. سيدي».

لامست ابتسامة ماكرة شفتيه:

ـ لماذا تريدين ترك العمل آغاتا؟

ـ لأسباب شخصية.

ـ إيلياس؟

ردت بلطف: لن أتباحث معك هذا الأمر.. سيد دونيمز.

توقف جارد عن الطعام وسأل بصوت أجش:

ـ وما الذي يقنعك بالبقاء؟

عندما رفعت بصرها إليه وجلة عرفت أنها ارتكبت غلطة فادحة.. فقد تشابكت نظرته بنظرتها وغرقت في أعماق عينيها اللتين بانت فيهما رغبة محرقة واشتياقاً عميقاً. تسارعت أنفاسها وأصبحت الغرفة ساكنة صامتة إلا من خفقات قلبها. إنه يحاول إقناعها برفض إيلياس بالطريقة الوحيدة التي يعرفها.. يحاول إغواءها لترفض أخاه.. وهي توشك على الترحيب بما يفعل!

وقفت آغاتا ببطء فوقف جارد معها، وقال وهو يسحب أنفاساً عميقة.

ـ أيتها البلهاء، العمياء، المخدوعة! ألا تصغين أبداً إلى ما تقوله غرائزك؟

ـ لدي عقل راجح يمنعني من الوقوع في الفخ.

ـ إن التقيت بمن يثير وجودك نضاتك ويسارعها فماذا ستفعلين عندئذ آغاتا؟ ماذا لو أصبحت إيماءة بسيطة مثيرة إلى درجة أن تتأوهي عالياً احتياجاً إلى تسكين الألم الذي تسببه؟

توقف لسانه عن الكلام ووجدت آغاتا أنفاسها تتسارع ورأسها يدور. ارتدت إلى الوراء حتى التصقت بالجدار.. كفى لن تستطيع الابتعاد أكثر من هذا.. دنا جارد منها كالمفترس.

ـ جارد..

ـ آه.. اسمي الأول.. أنت الآن فرد من أفراد العائلة تقريباً.. هه؟

وضع كفيه على الحائط على جانبي وجهها وقال بصوت أجش خطير:

ـ أنت جميلة بشكل غير عادي آغاتا.

ـ لا تكن سخيفاً!

يا له من كلام أحمق! تعرف أنه لا يجدها جذابة أبداً.. ولكن كلماته

www.rewity.com
gege86

قلبت كيانها رأساً على عقب.

أنزل يديه إلى وجهها ثم مرر أصابعه في شعرها:

ـ عيناك عميقتان سوداوان كبحيرة جبلية.. وبشرتك.. ناعمة ورقيقة وملساء كالبورسلان.

شهقت: «لا تلمسني!»

ـ أنت بحاجة إلى من يلمسك.. أيتها المخلوقة الرائعة.

تجرأت آغاتا على النظر إليه فإذا في عينيه بريق مشاعر مفترسة. بدا أنفه أكثر عجرفة وأكثر اتساعاً، لم ترَ قط جارد دونيمز كحيوان ثائر هكذا، وهي لم تكن قط خائفة من رجل أو من نفسها كحالها الآن.

سأل: «أتريدينني أن أعانقك؟»

ـ لا.. لا أريد!

بدت كلماتها مترددة. عندئذ اقترب جارد خطوة حتى كاد يلتصق بها، وشعرت آغاتا بالرعب فضغطت ظهرها إلى الحائط لتبعد نفسها عنه. لكنه تقدم أكثر.. فدمّر كل مقاومة في نفسها.

قال بلطف:

ـ مثيرة.. مغرية.. ألا تحبين أن يعانقك رجل؟

ـ أنا..

وابتلعت ريقها:

ـ من اللطيف أن يعانقني شخص أحبه.

ـ اللطيف؟ ومن يريد ما هو لطيف؟

لماذا لم تشعر قط بهذا مع شخص آخر؟ نظرت إلى عينيه فإذا به يراقبها كالصقر وإذا عيناه تراقبان كل مشاعرها.. ثم حاولت دس يديها بينهما لتدفعه عنها فضمها إليه. لم يستطع جسمها المتشنج إلا الذوبان أمام هذا التهجم والاستسلام.. ثم تلاشى غضبها كله عندما عانقها بشوق.

قال هامساً: لن تنسيني.. أتسمعين؟ سيبقى عناقي محفوراً في

ذاكرتك إلى الأبد، وكل ما ستتذكرينه.. هو أنا.. وهذا..

شدها إليه بوحشية أنذرتها بأنه قد يمزقها إرباً إرباً إذا حاولت مقاومته.

شعرت بالخوف وبالارتباك من ردة فعلها، لكنه لم يمهلها وقتاً لتسيطر على نفسها. أحست به يرتجف بين يديها وهذا ما أدفأ قلبها فقد عرفت أنها قادرة على التأثير فيه تأثيراً عميقاً.. ولكنها في الوقت ذاته خافت من أنانيته كرجل.

قال هامساً: أنت تريدينني أيضاً.. أجل.

ـ لا.. ليس بيننا حب، فكيف أريدك؟

حاولت التحرر من ذراعيه ولكنه كان يحكم إمساكها فلم تستطع.

عاد يتمتم: «لا تقاوميني آغاتا.. أحتاج إليك.. آه! لم يسبق أن شعرت بأنني غير قادر على التفكير السليم».

كانت سيطرتها على نفسها معلقة بخيط واهٍ قد ينقطع في أية لحظة.. ولكن هذه مخاطرة كبيرة.. عواقبها وخيمة..

في هذه اللحظة وجدت سبب الجاذبية القوية السوداء التي تظهر بينها وبين هذا الرجل المحبوس في قوقعة لا يمكن اختراقها.. إلا بالحب..

إنه مثلها يتوق للحب لكن ماذا إن لم يستطع هو إعطاءها الحب؟

تأوه قائلاً: أنا قادر على إزالة شوقك وألمك، وشوقي وألمي أيضاً يا حبيبتي.. لم تستطع قط مخلوقة تحريك مشاعري كما تفعلين أنت.

ـ أكره أن أسمعك تتحدث عن نسائك.

ـ انسي أمرهن لأنهن لا شيء.. أما أنت فكل شيء بالنسبة لي.

كم كانت عيناه متوحشتين وحنونتين! سرت قشعريرة خوف فيها بسبب قوة سلطته عليها وتدفق الدم إلى أذنيها لأنه وضع يديه بحنان على جانبي رأسها..

دفعت يداها صدره وكتفيه للحظة، فحسبته يهمّ بإمساك يديها

www.rewity.com
gege86

للتخفيف من ضغطهما عليه . . ولكنها سمعت صوتاً . . صوتاً جعل عينيها تتسعان رعباً فهذا الصوت الأجش الذي غزا وعيها لم يكن صوت جارد .

بل هو صوت إيلياس الذي كان يصرخ بهستيريا .

* * *

٧ ـ ضحية الحقد

ـ يا إلهي ! لا أقدر أن أصف قذارتك ! دعها وشأنها وإلا . .

ـ وإلا ماذا إيلياس؟

حاولت آغاتا الابتعاد ولكن جارد شدها إليه .

ـ سيذهب حبيبتي بعد دقيقة .

فتحت فاها ذهولاً . .

صاح إيلياس : «سأقتلك!»

ـ أنت وجبش من؟

صاحت آغاتا : «إيلياس»

تمتم جارد : لا تبتعدي عني آغاتا . . حباً بالله . .

شعرت بشيء يهزها ثم رأته يبتعد لينشابك مع إيلياس، لكن جارد تخلص من إيلياس بسهولة وراح يمسح ساقي سرواله وعلى وجهه تعبير غامض .

نظرت آغاتا إلى شعره المشعث، فأغمضت عينيها من فرط البؤس .

قال جارد برقة لإيلياس : «إلى الخارج» .

ازدرد إيلياس ريقه وضلَّ جاثياً يرتجف :

ـ أيها القذر ! دبرت هذا كله . . أليس كذلك؟ تعمدت إغواءها .

ارتفع حاجبا جارد بسخرية :

ـ كان مدبراً بالتأكيد .

www.rewity.com
gege86

أغمضت آغاثا عينيها بذل ورعب.. إنه أشد قسوة مما تصورت!

أضاف: إن سمعت أنك تحاول التودد إلى آغاثا مرة أخرى فسأحطّم وجهك.

فزعت آغاثا من الوحشية الظاهرة في عينيه، إنه يعني كل كلمة يقولها.. صاحت: «جارد!»

ابيضّ وجه إيلياس من الصدمة وقال وهو يسحب أنفاسه بصعوبة:

ـ أنت منكب على تدمير حياتي. آغاثا هي وسام آخر تضعه على قائمة نسائك.

التفت إليها:

ـ لا أعرف ما قاله لك ولكنه يقول الشيء عينه لكل امرأة.. ألا تدركين هذا؟ لقد ادعى أمام كل واحدة أنها نجحت في أسر قلبه.. آه! كيف لك أن تنخدعي بهذا الرجل؟

ـ أنا..

قاطعها جارد: «لا تصغي إليه.. إنه كاذب.. وثقي بمشاعرك. أنا وأنت متشابهان».

صدمتها الفكرة: لا تشابه بيننا أبداً.

ـ بل هناك تشابه وكلانا غير مرغوب فيه من قبل الأهل ولكلينا طفولة تعسة وخب، وزواج مبكر كارثي.. و..

أخفض وتيرة صوته حتى قاربت الهمس:

ـ.. ولكلينا عواطف مشبوبة لا يمكن السيطرة عليها.

ـ لا!

صاح إيلياس: «أيها النذل الشرير! كانت تقاومك..»

ـ تقاوم؟ إنها مقاومة الحب.. هل أريك كيف تهاجمني؟

نظرت إليه بعينين محترقتين.. فتابع جارد:

ـ أنظر إليها كيف تتهاوى وترتعش.

رد إيلياس: «من الخوف! إنها تخاف عنفك».

ـ إنها تخاف أشواقها التي لا حدود لها.. وقدرتي على إثارة تلك الأشواق.

ذابت عظام آغاثا من رأسها إلى أخمص قدميها:

ـ أنا..

اللعنة! أليس بإمكان عقلها ابتداع ما هو أكثر من كلمة واحدة في الدفاع عنها؟

قال إيلياس بعينين ملؤهما العذاب: «أنا أحبك آغاثا».

رد جارد:

ـ أخبرتك لماذا..

ثم نظر إلى أخيه:

ـ لقد شرحت لها لماذا تريد الزواج بها.

سحب إيلياس أنفاساً ساخطة: يا إلهي!

سألت آغاثا: «هل ما قاله صحيح؟»

ـ عن الإرث؟ أجل.. لكنني أحبك فعلاً.. فكلما وجدتني قربك أشعر بسعادة غامرة.

ثم صاح بوجه جارد: «توقف عن السخرية أيها النذل!»

ضحك جارد ضحكة لا شفقة فيها.

أردف إيلياس: في كل مرة.. كان هذا.. هذا الشيطان المجسم يبعد فتاتي عني بأكاذيبه وخططه اللعينة. أما أنت! فلم أتوقع أن تقعي في كلامه المعسول!

صاحت آغاثا: «أوه يا إلهي! هل لكما أن تخرجا من هنا؟ لا أريد أن أرى أي منكما مجدداً».

في هذه اللحظة الكريهة ما عادت تأبه لماضيها أو حاضرها أو مستقبلها.. لم يبق لها عمل الآن، وبسبب الأخوين المتصارعين.. لا

www.rewity.com
gege86

منزل، ولا مستقبل.. كادت تخرج عن طورها يأساً بسبب إجحاف القدر بحقها. رفضت التفكير في الطريقة التي خدعها بها جارد، فهذا ما لا تريد أن تواجهه. فمشاعرها مؤلمة أكثر بكثير.

صاح إيلياس:

ـ آغاتا.. ما زلت أريد الزواج بك.

ـ لا! أبداً! أخرجا من هنا.. كلاكما!

أزبد إيلياس:

ـ فلتلعنك ملائكة السماء دونيمز! آغاتا.. لا تدعي ما جرى يفسد ما بيننا.. اسمعي.. لست بحاجة إلى رؤيته مجدداً.. هذه أرضي.. وأنا قادر على طرده منها لو شئت.

رد جارد بلهجة بغيضة:

ـ لن تقدر بمفردك.. لن تستطيع.

ـ سأستدعي الشرطة.. فلست أبله بحيث أتعارك مع مجرم مجنون. لقد سئمتك وسئمت كلامك السليط.. أخرج من هنا! ونتدبر أمر رؤية بيرتا في مكان آخر.

قال جارد ببرود: «أيها النذل!»

ـ أرجوك آغاتا.. أنت مدينة لي بالإصغاء إلى ما سأقول.

ـ لا! اكتفيت! سأغادر صباحاً. أنا راحلة من حياتكم القذرة الشريرة. طالما رغبت في عائلة، لكن إن كان ما أراه أنموذجاً عن العائلة فأحمد الله لأنني بمفردي.

صاح إيلياس: «لن أدعك ترحلين أبداً!»

شخر جارد بنفاد صبر ثم أمسك أخاه ورماه إلى الخارج، تاركاً آغاتا مرتجفة متكدرة. التقطت عن غير وعي الأطباق التي ما تزال مليئة بالطعام ورمتها في سلة المهملات.. ثم استولى عليها غضب جارف.. فرفعت الطبقين إلى الأعلى وحطمتهما أرضاً.. بدا أنهما يمثلان الدمار الذي

منيت به في داخلها.. وهذا كله بسبب غلطة جارد الذي تعمد إيقاظ مشاعرها بعدما أخمدتها بنجاح.

هذا كله جنون.. افتتان مجنون.. ويجب أن تتخلص منهم جميعاً، حتى ولو أدى ذلك إلى تحطيم قلبها.

نظفت قطع الأطباق المكسورة باستسلام وتهيأت للنوم.. بعد ساعتين من الأرق، نهضت من السرير وتوجهت إلى الشرفة وهي تحمل شراباً ساخناً عله يهدىء مشاعرها المضطربة وبعد ذلك عادت إلى السرير مجدداً.

فجأة شعرت بشيء يدغدغ جسمها.. انتفضت مذعورة وفتحت رموشها فتلاقت عيناها بعينين سوداوين لامعتين.

قال بصوت تهزّه المشاعر: «آغاتا».

تأوهت: «أخرج من هنا!»

بدأت تقاوم مذعورة ولكن ذراعيه حاصرتاها.

تمكنت آغاتا من تحرير يدها وأخذت تدفعه بدون جدوى.. كان عناقه يجترح العجائب.. فتحركت طوعاً وهي تضم جسمها إليه.

ـ لن أستطيع تركك.. لن أستطيع تركك تخرجين من حياتي.. لا أستطيع نسيانك.. آه! آغاتا، أنا مجنون بك!

جنون! في لحظة تكرهه.. في الأخرى.. يا الله! كيف لها المحافظة على عقلها.. وهو..؟ الإغواء.. الانتقام هما دافعاه.. لا هي. إنه لا يهتم أبداً بها كإنسان أو كعشيقة حتى...

قالت غاضبة: «تعمدت بكل برودة أعصاب إغوائي! وكنت جريئاً فاعترفت به!»

تمتم: «نعم تعمدت ذلك ببرودة أعصاب.. أردتك منذ زمن بعيد وتقت إليك ليالي وليالي حتى بتّ أخيراً غير قادر على الانتظار».

ـ لا.. جارد!

www.rewity.com
gege86

- بلى.. بلى.. بلى حبيبتي، إن كل ذرة في كياني تنسجم مع كيانك.

الذي يتكلم ليس جارد، إذ يبدو كأبله رومانسي مجنون.

- أنا..

- بم تشعرين عندما تكونين مع إيلياس؟ أتسيطرين على مشاعرك؟ هذه ليست طريقة الحب آغاتا.. فالحب أحمق غير عاقل، مجنون.

كان منطقه الرهيب يسمم أفكارها.

تمتم: أنت غير صادقة مع نفسك.. أنا وحدي القادر على تحريك مشاعرك.. فلماذا الإنكار؟

تأوهت: أرجوك.. أريد أن أفكر..

- اللعنة يا امرأة! أنت تدفعينني إلى الجنون! أنت تريدينني.

تأوهت: أعرف.

- أخبريني أنك تحبين عناقي.

تأوهت مجدداً: «أحبه!»

- أنت لي آغاتا.. لي.. أتسمعين آغاتا؟

دفن وجهه في شعرها الناعم ليشمَّ عطره. ثم رفع رأسها يجذب شعرها إلى الأمام فوق كتفيها، ثم راحت يداه تمسحان عليه بتواتر.

كان كل ما تسمعه هو خفقات قلبها، وصوته الرقيق الذي ملأ رأسها بأفكار مجنونة.. إنها تعرف كيف يخبىء مشاعره الداخلية، ويحميها بكل حرص.. وما يبدبه الآن هو أقصى تضحية.

تمتم يائساً: «أنا بحاجة إلى حبك».

- هو لك.. فليساعدني الله.. لكنني أحبك جارد، كما لم أحب أحداً قطّ.. أحبك حباً جماً يخيفني.

- كلانا يملك بئراً لا قرار له من الحب المكتوم. قولي لي إنك تحبينني مجدداً وإنك لن تتزوجي إيلياس. أحلفي بالله بأنك لا تحبينه.. لا

تحبين إيلياس.. بل تحبينني أنا.. أنا.. آغاتا.. حبيبتي أنا!

غضّت تقطيبة عميقة جبينه وتصاعدت القوة منه كالبخار وكأنه يريد منها أن تؤكد له صدق كلماته.. عندما ترددت احترقت عيناه غضباً وكأنه رجل تتعرض خططه إلى خطر مميت.. وأحست بالبرد واقشعر جسمها.

وقعت عليها الحقيقة كالصاعقة.. ما زال يستغلها لينتقم من أخيه! لقد أحبت رجلاً لا يريدها إلا كي ينتصر على أخيه الذي يحتقره. الآن عرفت أنها تريد شخصاً يحبها لنفسها فقط، ولن يرضيها ما هو أقل من هذا..

همست مرعوبة: «لا تستطيع فعل هذا بي!»

- بلى.. أستطيع.

وجهت صفعة قوية إلى خده، ثم استغلت تراجعه لتبتعد عنه مذعورة كحيوان وجل.

- ماذا بحق.. آغاتا.. ما الأمر؟

- أيها الكريه، البغيض، الشرير..

تأوه مقاطعاً: «ماذا فعلت؟»

تلاشى كل الحب الذي رأته على وجهه.. ولم يبق سوى جارد الساخر القاسي.. جارد الحقيقي..

تأوهت لغباوتها: «أنت تحاول الانتقام من إيلياس.. لم يكن لكلمات الحب التي تفوهت بها معنى.. أنت لا تعرف ما هو الحب! أنت بارد برود شديداً».

أمسك ذراعها وراح يهزّها بعنف:

- لا آغاتا.. لا!

- بلى! أنت تنوي التأكد من قدرتك على إغواء المرأة التي طلب يدها! حسناً.. لم تنجح شرورك اللاتينية هذه المرة جارد دونيمز!

كانت تصيح إذلالاً وبؤساً.

www.rewity.com
gege86

ـ لن أستسلم لك.. لن أستسلم لشخص لا يساوي شيئاً.

رأت عيناها المشبعتان ازدراء بأنّه يقاوم ليسترد رباطة جأشه وليخفي الشر فيه.. ثم قال بصوت خال من أية عاطفة:

ـ لن تستطيعي الزواج بإيلياس.. لن أسمح لك!

صاحت: «أنت كالكلب المشاكس.. لا تريد شيئاً ولا تريده لغيرك. إنّه نقيضك.. والواقع أنني أبحث عن شخص مثله.. ثم ما شأنك وما أفعل؟»

أرادت أن تجرحه، أن تريه أنها لا تهتم وأنها لم تتحطم في أعماقها.

قال ببرود: «لا..! سيدمرك لأنه لن يبادلك الحب».

ـ هو يدمرني؟ وماذا عنك؟ ماذا تفعل بي؟

نظر إليها بوحشية وقال صائحاً:

ـ اجلسي.. أم أدفعك دفعاً إلى الجلوس؟

جلست على حافة السرير، في هذا الوقت راح جارد يذرع الغرفة ويحاول التنفيس عن طاقته بالسير العنيف.. ثم توقف بعدما جمع شتات نفسه بجهد خارق، ووقف يواجهها وهو عاقد ذراعيه على صدره.

قال بجرأة:

ـ أنت غير صادقة مع نفسك. أنت لا تحبينه ولا أظنك تريدينني كما تريدينه.

تدفقت حمرة الخجل إلى جسدها.

أضاف: «تعرفين أنني على صواب وأظن أن مبادئك لا تسمح لك بالزواج بإيلياس من أجل إرضاء نظام إرث قديم؟ فلنفترض أنه التقى بامرأة أحبها حقاً؟ ماذا سيحدث عندئذ؟ وبم ستشعرين؟ وكيف ستعيشين عمرك كله بدون أن تكتشفي ما هو الحب الحقيقي؟»

نظرت مرتاعة إلى وجهه الجامد الذي لا يلين. تعرف.. وهو أمر مؤلم.. مؤلم رهيب.

أردف يقول برقة:

ـ آغاثا.. لا تتورطي.

قالت بصوت حزين: وكيف أثق بما تقول؟ بقسم إيلياس وجاي وبرانن على أنك كاذب.

ـ هناك سبب وجيه لقولهم هذا. كان أبي كلما ظهرت أمي يبدو حياً ونشيطاً بشكل ظاهر.. كان مولعاً بكلارا ولكنه لم يكن يشعر نحوها بشيء من الحب الجارف الذي كان يشعر به نحو بيرديتا.. وهذا ما أزعج الجميع. كان حبه لنا يشع كالحقيقة العارية في عينيه وكان يضمني إليه بقوة حتى يكاد يؤذيني.. فكري كم جرح هذا مشاعر إيلياس وجاي اللذين هما على استعداد لتصديق ما اختلقه جداي من أكاذيب، بأن أمي شريرة مرتزقة وأن كل ما أريده هو مزرعة ماريونز.

ـ أليس هذا صحيحاً؟

ـ إن ما أريده هو تنظيف اسم أمي.. يجب أن تعرفي أمراً.. إذا خرجت المزرعة من يد العائلة بقي برانن وجاي بدون شيء. لا منزل ولا راتب، لا أثاث.. لهذا يهتمان بك. قد تكونين وسيلة خلاصهم. أتفهمين الآن لماذا وافقا إيلياس على أنك العروس المناسبة وهل فهمت لماذا بذلت ما بوسعي لأقصيك عن هذا الزواج؟

ـ ما في وسعك؟

ـ أجل.. كل شيء.

عرفت أن إغواءها المدبر كان مكيدة.. هدفها التأكيد لها بأنها لا تحبّ إيلياس وبأن عليها الانسحاب عن ساحة المسرح.. ولكنه أقسى عمل تعرضت له بحياتها فلقد مزّق قلبها نصفين وباتت غير قادرة على جمعه كما يجب أو جعله واحداً مرة أخرى، فالجرح عميق عميق..

تمتمت يائسة: «أيها النذل!»

ـ لست نذلاً لأنني أنقذتك من زواج خالٍ من الحب.. وهذا ما هو

www.rewity.com
gege86

عليه.. أليس كذلك؟

هزّت نفسها إلى الوراء والأمام:

ـ لا أستطيع التحمل.. ليت عيني لم تقعا عليك!

تبادلا النظرات للحظات طويلة فتمنيا لو يعودان إلى اليوم الذي سبق تعارفهما، أو لو يعود القدر بالساعة إلى الوراء ليترك لهما فرصة تجنب بعضهما بعضاً، وتجنب المشاعر المشتتة للفكر التي تثور كلما اجتمعا.

قال بصوت حزين: أمضيت نصف عمري وأنا أقول: «ليت».

مزق قلبها ألمه.. فأخذت تفرك يديها والتردد على وجهها.

ـ في قلبك حقد كبير.

ـ لقد غذوني به كثيراً.

ـ وتكره جاي.

ـ لو كنت مكاني أما كنت تكرهينها؟ إنها تألب بيرتا عليّ وتتآمر ليبقى برانن مديراً للمزرعة.. ولتحقيق هذا ترغب في أن يمضي إيلياس في مؤامرته الدنيئة ضدك.

قالت بارتباك: «هل لك أن تذهب؟ أريد ارتداء ثيابي».

ـ حسناً. ارتدي ملابسك وفي هذه الأثناء سأعد القهوة فنحن بحاجة إلى الكلام.

وافقت بعدم اكتراث.. فلعله راغب في مناقشة أمر مستحقاتها من الراتب.. لن تستطيع البقاء بعد الآن.. إنه خبير بالإذلال. وهي تحبه، كان يمكن أن يكون مصيرها وقدرها مصيراً رهيباً ولكنه شيء يجب أن تتحمله. لماذا يقع الناس في الحب بدون أن يبادلهم الطرف الآخر هذا الحب؟ لماذا اختيرت هي لتعاني بسبب رجلين حقودين؟

ارتدت آغاتا قميصاً دافئاً برتقالياً وسروالاً سمبكاً أحمر اللون، وجوروباً له ألوان قوس قزح.. إنها بحاجة إلى ألوان مشرقة تبهجها قليلاً.

عندما رآها قال جارد: «تبدين مستعدة للقتال».

ردت بوجه متجهم: «هذا صحيح».

وضع فنجان قهوة أمامها:

ـ اسمعي.. ماذا ستفعلين؟

قوّت نفسها ووضعت السكر في فنجانها:

ـ أنا راحلة فور انتهائي من احتساء هذه القهوة.

ـ وهل فكرت في ردة فعل إيلياس؟ عليك أن تعرفي أنه لن يتخلى عنك بسهولة.. فليس أمامه وقت.. لقد أنفق طاقة عظيمة في ملاحقتك، طاقة لن يضيعها سدى. قد يستغرق إيجاد وتحضير حمل آخر للذبح وقتاً طويلاً، وهذا ما لا يملكه. لذا سيلاحقك أينما ذهبت.

ـ لا.

ـ هذا ما فعله بآخر امرأتين.

ـ ماذا؟

ـ بذلت جهداً لأثبط عزمهما.

ـ أنت مقرف!

تابع والتسلية على وجهه:

ـ على أي حال، ثمة طريقة واحدة منعته من ملاحقتهن.

ـ ما هي؟

ـ الزواج.. لقد تزوجتا.

وهذا ما لن تستطيع تحقيقه.

تمتمت بعجز: آه! يا الله! وماذا أفعل؟ فلنفترض أنني كتبت له رسالة أخبرته فيها بحزم أنني لا أحبه، ولا أريد الزواج به ولو كان آخر رجل في العالم..

تمتم: «بل حاولي الانتحار.. لأن ذلك سيكون مقنعاً أكثر.. مع ذلك.. أعرف ما الذي سيوقفه».

ـ حباً بالله.. ماذا؟

www.rewity.com
gege86

قال بهدوء: «اقبلي الزواج بي».

اتسعت عيناها وعصر الألم قلبها.. الرسالة واضحة.. إنه يسعى إلى نهاية المطاف في انتقامه، يا له من نذل قذر! غضّت طرفها لئلا يرى ألمها.. كان الزواج به حلمها المجنون.. ولكن في ظروف مختلفة وليس تهديداً لرجل يريد زوجة ليحتفظ بأرضه.

قال بصوت مخملي:

ـ ستمنحك خطوبتنا الوقت لتستعيدي وعيك وتبعدي إيلياس عن ظهرك.. أنا الشخص الوحيد الذي يخشاه.. أتعرفين رجلاً آخر قد يخيفه؟

يا الله! إنها تريده! لكن.. هكذا..؟ هذه سخرية وقسوة.

ـ يردون عليك بألا يسمحوا لك برؤية بيرتا مرة أخرى.. فهل تخاطر بفقدها؟ من أجل الانتقام؟

ـ آه.. الانتقام.

بدا على وجهه تعبير يدانّي ذكرها بوحشيته فارتجفت.. إنه يريد أن يشفي غليله.

أضاف يذكرها:

ـ لقد طردت من المزرعة وعليّ المكافحة من أجل رؤية ابنتي سواء تظاهرنا بالخطوبة أم لم نتظاهر.. هذا هو عرضي.. خذيه أو اتركيه.. لكن اعلمي أن حياتك ستصبح جحيماً إن لاحقك إيلياس.

لن يضطر إلى الزواج بل سيكفيها ادعاء الخطوبة..

قالت بصوت مرتعش: «حسناً، موافقة».

استرخى جسد جارد كله.. وأدركت أن كل عضلاته مشدودة.. إنه بحاجة فعلاً إلى الانتصار على عائلة ماريونز!

ـ آغاتا.. أقسم بألا ألمسك ثانية رغماً عنك، فقد وعدت نفسي منذ سنوات طويلة بعدم الزواج ثانية بدون حب.

ـ إذن تعلمت درسك في المرة الأولى! لا يلدغ المرء من جحر مرتين.. أليس كذلك؟

ـ صحيح.

ـ لماذا تزوجت زوجتك الأولى؟

ـ أردت من يحبني.. كنت بحاجة يائسة إلى من يحبني!

مزّق نصل حاد جسد آغاتا.. عاش هذا الرجل حياة مشتتة تركته مقطوع الأنفاس.

قالت بقسوة وهي تقصد أن تجرحه بغضبها:

ـ أظنك خسرت حقك بالحب.. فالطغاة لا يعجبهم العجب.

أجفل متألماً.. وقال بصوت فظ:

ـ وضبي أغراضك.. نحن راجعان إلى لندن حالاً.

***

www.rewity.com

gege86

٨ ـ قلبها يتوسل

مرت الساعات ببطء، في هذا الوقت اتصلت آغاثا بإيلياس لتبلغه قرارها بالزواج من جارد. لم يصدقها وراحت تصغي إلى تقريعه وتأنيبه ثم جاء جارد فأمسك السماعة وأعادها إلى مكانها بلطف.. ولكن جرس الهاتف كان يرن ثانية، فرفع السماعة وأبقاها مرفوعة. للحظات سمعت آغاثا صوت إيلياس يتوسلها بيأس. ثم قطع جارد الاتصال عن الجهاز، فأغرقت آغاثا بالبكاء على نفسها إشفاقاً.

قال بصوت رقيق:

ـ من الأفضل لو تتزوج بسرعة.

توترت أعصابها كلها.. فطالما تاقت روحها إلى هذه الكلمات.

سألت بلهجة باردة: ولماذا بحق الله؟

ـ سيلاحقك إيلياس ما دمت عزباء.. وسيعمل برانن على دفعه قدماً في هذا الاتجاه لأنهم لا يصدقون أنني أقبل بفترة خطوبة طويلة، فلست من هذا الصنف. ولست ممن يطلبون الزواج وينتظرون بصبر ليلة العرس، سيكون هذا كالطلب من رجل جائع الانتظار ساعات حتى ينضج الطعام.. والجائع مستعد لأكل الطعام نيئاً.

تركته وأسرعت إلى المطبخ لتبدأ بتحضير بعض البيض لتناول الفطور.. ناداها جارد وهو يأخذ صحف الصباح من الردهة: الفطور بيضتان لي.

تابعت تحضير فطورها متجاهلة أوامره.

دخل إلى المطبخ ووضع الصحف فوق المائدة كعادته، ولكنه لما نظر إلى ما تحضره سألها:

ـ ألن تتناولي الفطور؟

ـ بل لن تتناوله إن لم تعده أنت. إنه لي.

تلاعب بشعرها: طفلة عنيدة.

صاحت: لا تفعل هذا!

ابتسم:

ـ كم أصبحت متوحشة. لا أظن إيلياس يحبّ هذا الجانب.

ـ انسى أمر إيلياس!

ـ ليتني أستطيع..

وضع قطعة لحم في مقلاة أخرى، وأضاف:

ـ إنه أمر جيد.. لكن يجب أن تقرري ماذا تفعلين.

ـ أوه.. ابتعد عن طريقي!

أخذت المقلاة منه وأضافت إليها الزيت

فابتسم: شكراً.. أنا بحاجة لمن يعتني بي.

ـ أنت بحاجة لمن يعتني بك كحاجة سمك القرش إلى أسنان!

قال ببراءة: كانت كل امرأة أتعرف إليها ترعاني كأمي.. تطبخ لي وما إلى ذلك.

ـ هراء.

وضع يديه على خصرها!

ـ اسمع ماذا تريد؟ أتريد فطورك في طبق أم تريده مع المقلاة والزيت على مقدمة سروالك.. قرّر.

أمسكت مقبض المقلاة بقسوة، فضحك ضحكة خافتة وابتعد وهذا ما سمح لها بالاسترخاء.. حتى الفطور كان مأساة بالنسبة لها مع هذا

www.rewity.com
gege86

الرجل!

سكبت طعامه في طبق.

قال بلطف: «إنه لآمن لك أكثر الزواج بي».

ـ أمان؟ ما من امرأة ستكون بمأمن معك.

ضاقت عيناه بشكل خطير:

ـ في يوم ما سأحشرك في الزاوية بمفردك وألمسك وعندئذ ستنهارين.

ـ لن أستسلم لك أبداً.. ! لا أطيق رجلاً لا يفكر في سوى رغباته الحيوانية!

غضَّ الطرف عما قالته وغيَّر دفَّة الموضوع: ما من امرأة تمكنت من إثارتي إلى مثل هذه الدرجة. وربما يمكنك أن تكوني الأولى.

إذا لم تكن حذرة، فستفعل شيئاً قد تندم عليه فيما بعد.

ـ قد يصل إيلياس إليك قبلي.

نظرت إليه مرتاعة:

ـ ماذا؟ أتظن أنني..

مررت يدها بقلق على جبينها. فأضاف ببرود:

ـ يجب أن تعرفي ماذا ستسببين لنفسك، ولكنني سأحميك منه إذا تزوجنا.

ـ سأسافر بعيداً.

ـ لن يكون مكاناً بعيداً عليّ أو عليه.. سألحق بك حتى آخر العالم.. لن تهربي أبداً.. أنا أنوي الحصول عليك.. منذ وعيت على الدنيا ومنذ تجرعت من عائلتي الحقد والكراهية رحت أحصل على ما أريد.. وأنا أريدك آغاتا.. أردتك منذ دخولك إلى مكتبتي وأنت مرتدية البزة الرمادية ومنذ رأيت وجهك المحروم وجسدك الرائع.. لن أدعك تذهبين عني أبداً.. لذا خططي لمستقبلك في هذا الإطار.

سألت همساً: «وما دافعك للزواج بي؟»

دفع طبقه الفارغ وأسند ذراعيه إلى الطاولة.

ـ الأسباب يا حلوتي كثيرة ومعقدة، لكنها ستمنع إيلياس من القيام بما هو كريه. لن أسمح له أن يؤذيك ويخضعك إلى أغراضه..

ـ أما أنت فيحق لك ذلك.. سيخسر المزرعة.. فهل سيرضيك هذا؟

ـ لا! يا الله! ماذا تظنينني؟ مهما كانت درجة كرهي لأخي أفضل أن يمتلك المزرعة هو على أن يمتلكها شخص غريب.. لكن يجب أن تفهمي أنني أعارض أن يتزوج أحد بشخص آخر بدون حب عميق دائم! فكري في ما فعله هذا بأبي.. وكيف أثر في أفراد العائلة؟

ـ لكنك..

يحق له أن يتزوج بدون حب.. ولكنه قادر على تحطيم كل القوانين التي يفرضها على الآخرين!

ـ لن يكون إيلياس سعيداً وهو يرى وجهك المصاب بخيبة الأمل كل صباح.. أنت بحاجة للحب آغاتا وللعناية العميقة ولتذوق طعم الحب الحقيقي.

ـ وماذا عن هوسك في الحصول عليّ؟

ـ ليتني لا أشعر نحوك بهذا، فالهوس لا يجعل أحداً سعيداً.. بل يسبب عذاباً هائلاً.. وبدون أن يتعاطى المرء مع التوقعات والحدود لا يقدر على السيطرة على الغضب والامتعاض.. صدقيني.. أنا خبير بالهوس وبالغضب الداخلي.

ـ أجل.. هذا ظاهر عليك.

ـ لأنني أجد أن من المناسب أن يظهر عليّ هذا.

ـ وبيرنا؟ ستخسر حقك برؤيتها.. وقد تحرمك جاي منها لتؤلمك.

ـ لن يحدث شيء كهذا إن كنت متزوجاً. أنا قادر على استعادتها إذا تزوجت.

هبَّت واقفة بسرعة. هذه هي الحال إذن؟ إن زواجها به يكسبه رفيقة

www.rewity.com
gege86

فراش ويكسبه ابنته.. في هذه اللحظة تلاشت من تفكيرها أية فكرة رومانسية. إنه يستغلها بقسوة إيلياس، ولكن الفرق الوحيد هو أنها تحب جارد وستشعر بألم أشد لأنها ستتزوج به.. مع ذلك، لن تستطيع قول لا.

- آغاتا.. أعرف أنني أطالبك بالكثير لأنني أريد منك أن تقبلي بطفلتي، ولكنني مضطرب بسبب الطريقة التي تسمم بها جاي أفكار الفتاة ضدي.. سمعت كيف تكلمت الطفلة.. أنا لا أتخيل شيئاً.. أليس كذلك؟

- لا جارد.. ولكنني غير متأكدة من أنها تقوى على الوصول إلى هذه النتيجة أما بيرتا فهي مشوشة قطعاً.

قال بمرارة: أوه.. تجيد جاي ما تفعل.. ولا يعجبني أن تحوّلها إلى طفلة نموذجية متصنعة. فوراء الفساتين النظيفة والصمت أرى فتاة نشطة كثيرة الحركة.. ولكنها مسحوقة. عندما تكون معي أجدني لا أقوى كبحها.. إنها مفعمة بالنشاط والحيوية.

- لها حيويتك واندفاعك وثقتك بنفسك. وهي على طرفي نقيض مع جاي وتعاليمها.

- تحض تعاليم جاي بيرتا على كرهي، وهي تستخدم طفلتي سلاحاً ضدي لذا لا أجدني قادراً على تحمل هذا مدة طويلة.

أجفلها اليأس الذي في صوته.

- كلاكما يشد على خيوط قلبها.. بيرتا لا تعرف ماذا تفعل وأظنك ستضطر إما إلى التخلي عنها وإما إلى الاعتناء بها بنفسك.

- أعرف.

- وماذا عن مشاعر جاي؟ لقد كانت أماً لابنتك منذ سنوات!

- لا أنكر حبها لبيرتا.. ولكنني أحبها أيضاً وقد حرمت منها بدون ذنب.. إنها ابنتي! وجاي شابة لذا يمكنها تبني ولد آخر.. تستطيع الادعاء بأنه ولدها.

كانت آغاتا مشغولة الفكر كثيراً.. كيف يؤثر هذا فيها.. سألت بغضب:

- وما الفرق بين تضحيتي من أجل إيلياس وبين تضحيتي من أجلك؟

ابتسم: أيها السخيفة..! بإمكاني تقديم الكثير لك.

برقت عيناها برد فعل طوعي.

- قلت إنك لن تجبرني.

- لا، لن أجبرك.

- وقلت إنك لن تتزوج مرة أخرى من غير حب!

توسل قلبها إليه: اعترف بهذا.. قل لي إنك تحبني، وإن كل نفس أتنفسه ثمين عندك، وإنك تتوق لامتلاكي، جسداً وروحاً.

- هذا صحيح. ولكنني لم أقل إن من الواجب أن نتبادل الحب، صحيح؟

دمرها بهذا.. لقد تفوهت بتلك الكلمات السخيفة عن الحب بكل غباء، وها هي تعذبها، لماذا جعلت نفسها تحت رحمته بسبب لسانها الغبي؟

قالت: كنت تعرف طوال الوقت أنني يجب أن أتزوجك أنت، أن إيلياس لن يلين، أليس كذلك؟

- أجل.. ولم أجرؤ على قول هذا فلو قلت لك ذلك لاختفيت إلى حيث لا أدري، لمَ وجومك؟ تعرفين أنك تريدين الزواج بي.

قالت هامسة: «لا أظنني أتحمل خيانتك لي يوماً».

- لا مشكلة.

- بلى.. هناك مشكلة! فأنت لا تستطيع أن تخلص لأحد حتى لو كانت حياتك وقفاً على هذا.

- سأكون وفياً.. لك.

- هه؟ وهل أصدق السيد دونيمز الخبير في الأمور العاطفية؟

www.rewity.com
gege86

ضحك مسروراً وتهلل وجهه بأجمل ضحكة رائعة.

قال بهدوء:

ـ لست فاجراً.. بل أنا ممن يفضل البناء البطيء الثابت قبل التودد إلى امرأة.

أمسك يدها يداعبها.

ـ دعني.. أريد ارتشاف قهوتي.

ـ كذابة.. بل تريدين أن أعانقك بشغف.

ـ هل تتوقع مني أن أصدق أنك ستكون وفياً لي؟

ـ إن للزواج مثل هذا التأثير عليّ.. سبق أن كنت متزوجاً.. ما دام عندي امرأة في البيت فلماذا أزعج نفسي بمغامرة عابرة؟

ردت ساخرة: «من أجل التنويع».

ـ آه! ستنوع كثيراً فأنا بارع في هذا..

سألت بصوت هامس: «ما هو دافعك الأساسي للزواج بي؟»

أمعن النظر بوجهها فرأى اللهفة والألم والحزن.

قال: ستعرفين هذا.. فتوقفي عن المقاومة. لكلينا أسباب قوية في زواجنا.. وأظن أن النتيجة ستدهشنا.

ـ وإن لم تحصل على حق الوصاية على ابنتك، فهل ستطلقني؟ يجب أن أعرف.

مد جارد يده ليمسك يدها المرتجفة:

ـ لن أتركك أبداً.

صاحت: «وهل قلت هذا لزوجتك الأولى؟»

ما أسرع ما تقطع الوعود وما أسهل ما تكسر.

ـ لا.. أنت لا تعرفين الكثير عني ألبس كذلك؟ اسمعي! اعتقدت مدة خمس وعشرين عاماً أنني سأرث مزرعة ماريونز.. وعندما سمعت أن جدي لم يذكرني في وصيته كدت أفقد عقلي بسبب ضياع ذاك الأمل

الفارغ.. كنت بدون اسم وكانت أمي منعونة بالساقطة ولم يكن لدي من يواسيني.. التقيت مايبل بعد فترة وجيزة فحاولت أن تبعدني عن مزاجي السوداوي.. تزوجتها وأنا أعتقد أن الحب سينمو بيننا لأنني أردت ذلك الحب كثيراً.

ـ ولماذا هجرتها ما دامت تهتم بك؟

ـ ماذا.. فعلت؟

بدا غاضباً غضباً جعلها تتوتر.

ـ قال إيلياس..

سحب نفساً مرتعشاً من الغضب.

ـ إنه كاذب! أقسم على هذا بأسم أمي. قررت أنا ومايبل السفر إلى أميركا للبحث عن عمل في سبيل البدء بحياة جديدة في بلد جديد.. ولكن عندما اتصلت لأخبرها بمكان عملي الذي حصلت عليه لم أجدها واكتشفت أخيراً أنها كانت في المزرعة.. لكن إيلياس رفض السماح لي بمكالمتها.

ـ لكنها كانت حاملاً.

قال بصوت ملؤه الألم:

ـ لم أعرف. أقسم أنني لم أعرف.. راسلتها واتصلت بها ولكنني لم أستطع العودة لأنضم إليها.. وعندما عدت إلى انكلترا كان الوقت متأخراً لأن مايبل اختلفت على يد إيلياس وجاي اللذين حطما زواجي بأكاذيبهما. حتى في ذلك الوقت، لم تقل لي إنها حامل.. ربما لأنها كانت غاضبة مني ولأنها لم تصدق أنني لم أجنح وأخونها مع النساء كل ليلة..

ـ وماذا حدث؟

ـ هدّد إيلياس بتأليب الشرطة علي وباتهامي أنني أعامل مايبل بطريقة متوحشة.. يا إلهي! أستغرب لأنني لم أقتله. أترين الآن لماذا أكرهه؟ لقد دمر زواجي وحرمني من المعرفة بأمر طفلي ثم وقع لمايبل حادث خيل

www.rewity.com
gege86

فماتت ولكنها قبل أن تسلّم الروح طلبت من جاي رعاية ابنتها.. أما المرة الأولى التي عرفت فيها أنني أب فكانت في جنازة مايبل.. تصوري الصدمة.. تصوري فقط!

أرادت أن تشد وجهه المعذب إلى صدرها وأرادت أن تضمه حتى يزول الألم. لقد عانى الأمرين.. بإمكانها قتل إيلياس بنفسها لما فعله به.

ـ هذا.. رهيب.. مأساة.. لكن.. لماذا لم تحارب من أجل بيرتا؟

ـ يا الله! أوَ لم أفعل؟ كدت أفلس وأنا أحاول الحصول على حق حضانة ابنتي! أترين.. احتفظت جاي بكل ما نشر عني من شائعات. تعرضت مرتين زوجات زملائي في العمل للإزعاج خلال عشاءات إدارة المجلة.. وتحملت اتهاماتهم القذرة فترة طويلة ثم فضحت كل شيء عنهم بكل برود.

ـ شاهدت تلك المقالة.. ويجب أن أعترف أنني ظننتك مجنوناً.

ـ بالضبط.. وهذا ما تصوره العالم.. لذا أعلنت المحاكم أني غير مناسب للعناية بطفلة صغيرة. أضيفي إلى ذلك أن بيرتا لم تكن تعرفني.. كل ما عرفته أنني سكير حقير يحاول اختطافها.. أوه! ليس لديك فكرة عن تلك الأكاذيب التي اختلقوها. وأعترف ببلاهتي.. أعترف بأخطائي.. لا أستطيع أن أعيش كما عشت سابقاً مرة أخرى! ما فعلته يعذبني.. ليتني أستطيع أن أحيا حياة جديدة.. ليت أمي لم تقع في حب ابن مخدومها.. وليت جاي لا تكرهني وتخاف مني... ليت.. ليت.. ليت..

***

٩ ـ تقاتله بأظافرها!

نظرت آغاتا إلى يدي جارد وأمسكتهما بيديها فإذا هما جامدتان، وبدا أن الدنيا كلها جامدة تنتظر ردها.

قالت بهدوء: «سأتزوجك».

ثم قام بعمل غير عادي.. رفع يديها إلى شفتيه وقبل كفيها فخفق قلبها وارتعش.. إنها عبدته.. بدون إرادتها أجل.. ولكنها عبدته.. سيعاشرها كزوجة لكن قلبه سيبقى مقفلاً دائماً، أما قلبها الضعيف فسيبقى ضعيفاً أمامه.

سألت ورموشها ترتعش كفراشة خائفة:

ـ ماذا.. ماذا نفعل الآن؟

تمتم: «لا تغويني.. هذا وقف على ما إذا كنت تنوين الزواج في ضاحية تشيلسي أم تراك مستعدة لعقد الزواج في مكتب مسجل العقود في «ماريلبون رود».. وهذا يعني انتظار يوم واحد، والواقع أنني أفضل أن نسرع في الزواج».

اختبرت آغاتا معنى الذعر الذي كان يدفع ساقيها للفرار من حياة جارد.

أضاف: «كلما كان الوقت قصيراً كلما كان ذلك أفضل. وعندئذ أتمكن من البدء بمعاملات المطالبة بحضانة ابنتي».

ـ آه! طبعاً.

www.rewity.com
gege86

قال بلهجة تهديد:

ـ ساعتئذ سأقدر على أخذك قانونياً.

قالت بأنفاس مقطوعة: في تشيلسي إذن.

ـ غلط.. في ماريلبون.

ـ قلت إنني لي حق الخيار.

ـ لكنني لم أقل إن عليّ القبول بقرارك الذي لا يناسبني. تعالي.. سنذهب الآن.

صاحت:

ـ لن أسمح لك بدفعي.

امتدت يده تجرها بدون رحمة إليه. ثم أسرها بين ذراعيه بحيث باتت عاجزة عن الفكاك من بين يديه.

صاحت: أكرهك! أكرهك جارد دونبمز! أكره تسلطك وتكبرك! فلا تدفعني بعيداً!

تمتم وهو يضع يده على ظهرها: «وإلى أي مدى؟»

قالت بسرعة: من الأفضل أن نذهب فأنت تريد الحصول على الترخيص في أسرع وقت.

ضحك: «كيف تجرؤين على إفساد محاولة إقناعك! كنت أتطلع شوقاً إلى إقناعك».

ـ حسناً.. أما أنا فلم أكن أشعر بأي شوق.

ضحك ضحكة ساخرة وهبَّ واقفاً كشرير أما هي فهرعت إلى غرفة نومها لترتدي كنزة دافئة.

قال وهما يخرجان من مكتب مسجل العقود:

ـ على فكرة.. هناك شيء واحد لا أستطيع إعطاءك إياه.. شهر عسل.. ليس الآن على الأقل. يجب أن أدبر الأمر مع المجلة التي أعمل فيها.. ثم هناك عيد مولد بيرتا.. أريد أن أحضره.

ـ لكن برانن قال..

ـ فليذهب برانن وما قاله إلى الجحيم لأنني سأحصل على أمر قضائي مؤقت.. قريباً أصبح رجلاً متزوجاً محترماً.. حسناً! متزوجاً..

ـ هل ستأتي بيبرتا إلى هنا لتحتفل بعيد مولدها؟

ـ لا.. فكرت أن أصطحبها من شقة كلارا إلى مكان ما. هناك أشياء كثيرة نستطيع القيام بها، ولدينا بعض الوقت للتفكير أما أهم أمر حالياً فهو إيجاد مكان نقطن فيه.

وصلا إلى السيارة: وما بها الشقة؟

التقى حاجباه في خط مستقيم كثيف أسود:

ـ سأقود السيارة.. لندن مكان غير صالح لتربية الأطفال.

ـ أتريد أن تنجب أطفالاً؟

ـ ألا تريدين هذا؟

ارتجفت:

ـ بلى أنا.. أريد أولاداً

ـ عظيم.. لأنني سأوفر لك كل الفرص الممكنة لإنجابهم بعدما نتزوج.

عمَّ قلبها الحزن.. هذا كل ما حلمت به. ولكن في هذا الواقع عيباً كبيراً.

قال: فكرت أن نجد مكاناً على طول خط فيكتوريا ـ لندن لنكون على مقربة من المحطة.. سننظر في الخريطة حين نعود إلى الشقة.

قالت: هلا أقلتني إلى شارع أوكسفورد لأنني بحاجة إلى ثياب جديدة!

ارتفع حاجباه: «ثياب داخلية مثيرة».

ـ لا!

ـ بلى.. سنذهب إلى شارع بوند.. فزوجتي لا ترتدي غير الحرير

www.rewity.com
gege86

ولا يلامس بشرتها غير الساتان.

ـ أرجوك لا.. جارد! لا أدري كيف أتصرف في هذه الأماكن.. سينظرون إليّ..

ـ حبيبتي.. ما يعتقدونه غير مهم.. وإن حاول أحدهم التكبر عليك نالوا من لساني ما لن ينسوه أبداً.. صدقيني.

أوقف السيارة في موقف. تنهدت وهي تسير بتواضع وراء جسده الأنيق إلى عالم جديد من دنيا الأزياء.

أمضيا يوماً رائعاً في الإنفاق بشكل مبالغ فيه.. في هذا الوقت اكتشفت آغاتا مدى سخاء يد جارد ومدى السعادة التي شعر بها وهو يرى عينيها تشرقان كلما لامست القماش الجميل. وكان أن اشترت ملابس ترضي الغرور وما إن توقفا لتناول الغداء حتى كانت تحلق في السماء.

أدخلها جارد إلى مطعم إيطالي صغير، وجلس في مقعده وراح ينظر إلى المرأة التي تغيرت كثيراً.. إن شيئاً من الدلال والسعادة التي أضافها القماش المتقن الصنع والثياب العابثة والوردة الحمراء سببت جميعها تغييراً مذهلاً في آغاتا التي تضحت فيها الثقة العامرة بالنفس حتى أثرت في من حولها.. وفي مرات عدة اضطر جارد إلى إلقاء نظرات حادة على عدة رجال كانوا يبدون الإعجاب بالجمال الطويل الشعر إلى جانبه. ولعل أكثر ما أرضاها أن عدداً من النساء رحن ينظرن إلى آغاتا نظرة حسد.. ليس بسببه بل لأنهن تكدرن وشعرن بالغيرة من جمالها البريء النضر الذي يفيض سعادة.. فقد تظاهرت بأنهما واقعان في الحب وهذا ما جعلها في غاية السعادة.

صاحت بسعادة وهي تفكر في تعلم الطهو الإيطالي الذي هو المفضل عنده على ما يبدو.

ـ أليس هذا جنة؟

تمتم جارد: إنهم مدّعون.. ولكنهم يصنعون أفضل «صلصة فيري»

في لندن.

ـ أوه.

مد يده يمسك يدها.

ـ آسف.. إنه نقد لاذع ولكنه أصبح عادة عندي. أعجبك المكان ويعجبني.

سألت: هل هذا هو «المبيض الجديد للغسيل» جارد دونيمز؟

لامس وجهه الأسمر مفكراً:

ـ المعجزات تتطلب وقتاً أطول.

ـ ماذا نفعل بعد الغداء؟

ـ مزيد من التسوق. ثم العودة لارتشاف فنجان شاي والتجادل بشأن الخريطة والمكان الذي ستقطن فيه وبعد ذلك تناول العشاء وحضور عرض مسرحي.

ـ لست مضطراً إلى هذا كله.. إن اتفاقنا اتفاق مصلحة.. لذا لا حاجة بك إلى معاملتي معاملة خاصة.

ـ لكننا نضيع الوقت هكذا.

تنهدت بسبب كلماته اللاذعة.. إنهما يمضيان الوقت فعلاً! سيكون زواجاً مثيراً.. فهل سيتمكن يوماً من الوثوق بها؟

بعد الغداء قصدا محلات «تيفاني» وهناك نزع من يدها خاتم زواجها القديم.. في هذه اللحظات أدركت حقيقة ما تفعل.. إنها تربط نفسها عمراً كاملاً بهذا الرجل الصعب المراس الذي يرفض أن يدخل قلبه أحد والذي لن يرفع عنه حذره ولن يشارك ذاته مع أحد.

سألها: «تحبين الياقوت أم الزمرد؟»

ردت بذهول: «لا أدري».

ـ إذا قلت لك إن أفضل الزمرد يأتي من كولومبيا..

ابتسمت: الزمرد إذن.

www.rewity.com
gege86

كان الخاتم الذي اختارته جميلاً. دسّه في إصبعها ثم لثم خدها برقة فخفق قلبها بسعادة غامرة.

قال جارد:

ـ الزمرد يعني الحب.. إنه ملائم.

عبست... لماذا يسخر منها؟ ولكنه ويا للدهشة لم يشتر خاتم زواج.. وعادا إلى الشقة حيث أخطر أليكس بأنه سيتلقى طروداً كبيرة في اليوم التالي.. في المساء اصطحبها لمشاهدة الأوبرا وهناك أمسك يدها ولم يتركها.. ثم عادا إلى الشقة مجدداً ولكنها رفضت دعوته لاحتساء شراب ساخن قد يساعدها على النوم.

قالت: «كان يوماً رائعاً.. شكراً لك».

رد بصوته العميق:

ـ من دواعي سروري. غداً نذهب إلى ضاحية لويس.

كان يأمل أن يجد هناك منزلاً.. هزت آغاتا رأسها بسعادة ولكنها تثاءبت عن غير قصد، فقال بتردد:

ـ قبل أن تأوي إلى الفراش، أود أن أسألك شيئاً، ودون ارتباطات.

أجفلت.. ماذا يريد الآن؟

ـ أعطتني أمي هذا الخاتم قبل أن تغادر انكلترا. إنه ليس ثميناً ولكنه من الذهب وقد أرادت مني أن أقدّمه لزوجتي.. وأتساءل عما إذا كنت تقبلين به حين نتزوج.

نظرت إلى الخاتم البسيط الضيق في كفه، وأحست بالدفء نحوه:

ـ بالتأكيد.. هل كان لمايبل؟

ـ لا.. لقد رفضته وأرادت ما هو بذي قيمة.

ترقرقت الدموع في عيني آغاتا، وتمكنت من القول باكية:

ـ إنه ذو قيمة عندي.

وارتدت مسرعة إلى غرفتها.

سحرها منزل قرب محطة لويس.. وتوسلت إليه بعينيها أن يعجب به أيضاً.. كان كبيراً وواسعاً فيه عدد كبير من الغرف وعدد من الأبواب في أماكن غريبة، وأحبت آغاتا هذا البيت الذي لم يبدُ فخماً إلى درجة مخيفة.. ألقى جارد نظرة على القبو المرصوف بالآجر باهتمام يفكر في كيفية ترتيبه. عندما وصلت إلى الحديقة راحت تتأمل جدرانها المرتفعة والسفرجل والنخيل والإجاص وشجرة تفاح.

نظر جارد بتساهل إلى الوجه الحالم إلى جانبه في السيارة.. وسأل:

ـ أية غرفة نوم ليبرتا؟

ـ آه! تلك التي يلحق بها غرفة تبرج، ستحبها.

ـ أظن ذلك.

ابتسمت آغاتا بسعادة.. لقد سحرته الغرفة الصغيرة الشبيهة بخزانة كما سحرتها هي.

ـ يجب أن نسأل عن مدرسة الأطفال تلك، ثم نذهب لمقابلة المدير، ثم...

ـ مهلك.. فلنتزوج أولاً.. كما إننا لم نشترِ المنزل حتى الآن. قد نختلف مع مالكه.

ـ سيكون لنا.. أعرف هذا. لقد أثرت كثيراً في السمسار والمالك عندما عرضت عليهما السعر المطلوب والإقامة المؤقتة.

تابع بهدوء: «أريد ذلك المنزل».

فضحت عيناها فرحها:

ـ وأنا مسرورة بهذا.

غطت يده يدها بإيماءة تفهم، وأحست آغاتا بالمشاعر التي شعرت بها في الأيام الأخيرة تهدد رباطة جأشها.

ـ أوه.. اللعنة!

وأخذت تفتش عن منديل.. فغضب جارد:

www.rewity.com
gege86

ـ لا تبكي آغاتا.. لا أستطيع تحمل دموع النساء. كفى! توقفي بحق الله!

ولكنها مضت في بكائها فامتدت يده إلى مؤخرة عنقها، ولكنها انتفضت مذعورة وابتعدت عنه بحركة لا إرادية.. فسأل بصوت فظ: «وهل تزعجك لمستي إلى هذا الحد؟»

ـ أجل.. جارد، لست واثقة..

ـ يا إلهي! لا يمكنك التراجع الآن.. لقد أخبرت بيرتا على الهاتف بخبر زواجنا، وهي الآن كقطة ماكرة تحافظ على سرها.

ـ قلت لها؟ دون أن تستشيرني؟ هذا ظلم!

ـ يجب أن تعرف.. فلو كانت متكدرة..

ـ لطردتني ولوجدت من تقبل به.

ضغط على ركبتها:

ـ لا تكوني سخيفة.

أبعدت يده عنها وقالت بحدة: لا تفعل هذا!

شعرت بأنه انسحب نفسياً عنها، وجمّد القناع البارد قسمات وجهه. تابعا السير بصمت وآغاتا تلعق جراحها.. أصبح رأسها كملعب مغامرات ضخم.. الأفكار تتلاحق فيه وتتصارع وتتأرجح، ثم تنزلق مبتعدة. في أثناء الطريق، كلمت نفسها مراراً مكررة ببرود «إنه لا يحبني»... يوماً ما سيستغل ضعفها وثقتها ليجرحها جرحاً عميقاً لا شفاء له.

لم يكن هناك ما هو أقدر على تبريد طبيعتها الرومانسية من مراسم زفافها.

كان جارد قد أمضى فترة الصباح وهو يتكلم هاتفياً مع جاي حديثاً صعباً. لقد حصل على أمر قضائي يمنعها من إنكار حقه بالوصول إلى ابنته وعرفت آغاتا من تعابير وجهه المرهقة، أن كلمات كريهة تقال له. وهذا ما عكّر مزاجه.

بعد انتهاء الحديث ردّ السماعة بهدوء وأغلق على نفسه في مكتبته..

غيرت آغاتا بنطلون الجينز العادي وكنزتها وهي تتساءل عما إذا كان عليها تذكيره بموعد عقد الزواج الذي سيجري بعد نصف ساعة.

ارتدت ملابسها الداخلية الحريرية الفرنسية متوترة ثم ارتدت فستاناً صوفياً أصفر اللون غيَّر مظهرها كلياً إذ ركّز على أفضل تقاسيمها وقلل من عيوب قدّها.

وضعت بحذر قليلاً من اللون على وجنتيها لتخفي شحوبها، وظللت عينيها بلون برونزي أبرز بريق عينيها.. ثم فتحت إحدى المجلات على صفحة محددة وراحت تتبع التعليمات حتى توصلت إلى تصفيفة شعر رائعة. وكانت تقريباً جميلة.

أنبأتها ساعتها بأنه حان الموعد، فارتجفت أصابعها وهي تثبت دبابيس قبعتها على رأسها وعندما انتهت حملت حقيبة يدها التي تنسجم مع حذائها العالي الكعبين.. أخيراً ألقت المعطف الأصفر على ذراعها استعداداً للخروج.

هبَّ جارد عن أريكة غرفة الجلوس حالما خرجت من غرفة النوم.. ولكنها لم تتلق منه غير هزة رأس دليل إعجاب.. فشعرت بمعدتها تتقلص.. فلم يكن هذا هو يوم الزفاف حلمت به.

قال: «فلننطلق».

استقلا سيارة أجرة أقلتهما إلى خارج مكتب مسجل العقود.. أمسكت يد جارد مرفقها.. وكان هذا أمراً جيداً، فمنذ تلك اللحظة أصبح كل شيء ضبابياً.. لم تكن موجودة حقاً هناك، ولم يكن هذا زواجاً حقيقياً.

كانا واقفين أمام مسجل العقود ولكنها شعرت بأنه يكاد يهرب. ولكن إرادته القوية وحدها هي التي أجبرته على الثبات في أرضه.. في تلك اللحظة كرهته.. كراهية امتزجت بالحب والشوق فنتج عنها يأس كامل..

www.rewity.com
gege86

ستقوم بدورها.. وستهيىء جواً عائلياً لبيرتا لتشعر بالسعادة.. ولكنها لن تسمح له بلمسها.. فهذا الدور مات فيها.

بعد انتهاء الإجراءات شكرا بأدب الغربيين اللذين شهدا على عقد زواجهما، ثم استقلا سيارة أجرة إلى المنزل.

حاول جارد وضع ذراعه حولها في السيارة لكنها أبعدته عنها إذ ستجهش بالبكاء إن حاول تأكيد حقه القانوني.

ـ آغاتا..

ـ لا.. لا تلمسني.. لا أطيق لمستك.

ـ لكن..

صاحت: «ابتعد».

التفت سائق التاكسي:

ـ هل أنت بخير آنسة؟ أتريدين أن أرميه خارجاً؟

آنسة.. فليساعدها الله! إنها متزوجة برجل مهووس..

تأوهت: لا.. كل شيء على ما يرام.. أوجوك تابع سيرك..

صاح جارد: «ماذا تفعلين بحق الله؟»

لم ترد، وطفقت تراقب المارة في الشوارع ولكنها كانت تتساءل عما سيحدث حين يصلان الشقة. متى يبدأ بوسائل الإغواء؟.. إنه على وشك أن يأخذ كل ما يريد.. صرّت أسنانها على شفتها السفلى، ما أغباها! ظنت أن الزواج هو كل ما تريده وأن حبها وحده كافٍ لديمومة الحب والرومانسية.. حسناً سيد دونيمز، هذا غير كاف لي.. إنها تريد منه أن يتودد إليها وأن يخطب ودها ويدللها بكلمات الحب.

سألته: ماذا خططت لفترة بعد الظهر؟

ـ ماذا؟ آغاتا.. تزوجنا لتونا! فماذا خططت برأيك؟

هذا ما توقعته.

ـ أيها السائق، توقف هنا لحظة رجاء.

راقبها جارد بغضب وهي تترجل من السيارة لتشتري خمس مجلات من منصة بيع كتب.. سألها عندما تابعت السيارة سيرها:

ـ ماذا تحاولين إثباته؟

قالت ببرود وهي تقلب باهتمام مجلة أزياء: لا شيء أبداً.

لن تتألم بسببه! لن تهتم أبداً لأنه لم يضع خاتماً في يده ليدل على أنه متزوج.. ولن تهتم لأنه لم يحتضنها ويهدىء روعها قبل الزواج. وصلا إلى شارع كينغزرينش فترجلت من السيارة قبله وابتسمت ابتسامة مشرقة لعيني اليكس الزرقاوين.

قبل أن يتمكن جارد من تنفيذ تقليد الزواج بحمل العروس فوق عتبة الباب، فتحت باب الشقة بمفتاحها ودخلت، وهناك تخلصت من الحقيبة والمعطف والقبعة والحذاء. وصل بعدها فتحركت بسرعة لأنها رأت يديه ترتفعان لتمسكا بكتفيها.

قال بأسف: آغاتا..

ـ هلا أحضرت لي شراباً؟

ـ أتريدين شراباً حقاً؟

ـ أجل.

ارتفعت كتفاه ومسح قناع بارد كل المشاعر عن وجهه.

غاب قليلاً، ثم عاد وهو يحمل كوباً من المرطبات.. ارتشفت منه رشفتين ثم قالت:

ـ رائع.

ابتعدت لتعلق المعطف في خزانتها ولكنها كانت تعي أن عينيه تراقبان كل حركة تقوم بها.

سألها بهدوء: «ماذا تفعلين؟»

ـ أعلق معطفي.

ـ لم تعد هذه غرفة نومك.

www.rewity.com
gege86

ـ أتعني أننا سنتشارك غرفة واحدة؟

ـ يا الله!

كانت تسيطر على نفسها كل السيطرة وتختبىء وراء قوقعة ابتدعتها لنفسها. بعد ذلك فتحت مجلة وسألت ببرود:

ـ أتريد أن أحضر العشاء في المنزل أم تفضل أن نخرج؟

رد وقد عادت سيطرته على نفسه:

ـ سنقرر هذا فيما بعد.

نظرت آغاتا عن غير وعي إلى صفحات المجلة ولكنها أملت أن تصيب في تقليب الصفحات في الوقت المناسب. تناهت إلى مسمعيها حركات عرفت منها أن جارد فك ربطة عنقه وخلع سترته وفكّ أزرار قميصه.

فجأة انتزعت المجلة من يديها ورُميت بعيداً. ووقف جارد فوقها.

فقالت معترضة: كنت أقرأ هذا!

ـ لا.. أنت لا تقرئين.

أحست آغاتا بجسدها يذوب من الداخل لشدة كثافة نظرته التي كانت تمر فوق كل إنش منها، دارسة كل ثنية من ثناياها، ولكنها أشاحت بوجهها عنه وراحت تحدق من النافذة إلى الخارج.

ـ أنظر كما شئت.. ولكن إذا حاولت فرض نفسك عليّ قاتلتك بأظفاري وأنيابي.

قال بأنفاس متحشرجة:

ـ لماذا تفعلين هذا لي؟

تأوهت بعمق: لأنك لا تحبني.. ولن يصبح كل شيء على ما يرام حتى تحبني، لا أستطيع معاشرتك فقط. يجب أن أحب وأعرف أنني محبوبة.. وارتعشت.

ـ مزاجي غير رائق.. تعبت من التلاعب بي.. قضيت عمري وأنا

أكيّف نفسي مع كل ما يطلب مني.. «لا يمكنك البقاء مع أسرة كوتنر آغاتا لأنهم سينجبون طفلاً من لحمهم ودمهم» «يجب أن تتركي منزل كرولنغ آغاتا لأن ابنهما في عمر خطر».. «تزوجيني فأنا أرغب في جسدك.. واعملي عندي فأنا بحاجة إلى سائق».. «طلقيني لأنني أحب غيرك» وهكذا دواليك.. خلت أنني أسيطر على حياتي.. ولكن هذا غير صحيح! كل ما فعلته من أجل إرضائك.

ـ لم ترضني حتى الآن.

ـ لا.. ولا رغبة لي أبداً في إرضائك.

ـ أنت لا تعنين هذا.

صاحت: بل أعنيه وحق الله! المسني وأضربك!

جمد جارد.. وخلا وجهه من التعبير.. هز رأسه قليلاً، ثم ارتدّ على عقبيه متوجهاً إلى مكتبه.

***

www.rewity.com
gege86

١٠ ـ إلى متى الانتظار؟

عقب هذا الحوار أياماً طويلة رهيبة وليالي أطول وأسوأ. ففي هذه الأيام تجنبها جارد كلياً وكان كل واحد منهما ينام في غرفته.. وليس ذلك فحسب إذ كانا يعيشان منفصلين فقد وجد جارد البقاء معها في غرفة واحدة أمراً يوتر أعصابه.. واستخدم سائقاً جديداً يقطن في مكان بعيد عن وسط لندن.

أحست آغاثا بعزلتها عن المجتمع الإنساني تزداد فهي محجوزة في الشقة معظم أوقات النهار.. كانت تتوقع بعض الراحة في الأيام المتفرقة التي تقضيها مع بيرتا.. لكن جارد انغمس فجأة في حمى العمل الذي أجبره على الحنث بموعدين مدبرين.

راحت آغاثا تدور في أطراف الشقة ضجرة تعسة، وهي تتساءل عما سيحدث لو خرجت واختفت. ولكنها خوفاً من أن يلاحقها إيلياس امتنعت عن الفكرة.. كانت تأمل عندما تأتي بيرتا لتعيش معهما أن تصبح لها زوجة أب طيبة وعندئذ تصورت أن علاقتها بجارد ستتحسن.

لو كان الطقس جيداً بعض الشيء لقضت بعض الوقت في السير في حدائق لندن ومتنزهاتها وضفاف نهرها.. لكن الريح والمطر كانا شديدين بحيث كانت تكتفي معظم الأيام بالتطلع من النافذة أو مشاهدة برامج التلفزيون النهارية، أو الاستماع إلى الراديو والغريب أنها لم تكن تجد الطاقة الكافية لتحضير وجبة طعام لها..

سلبها السأم لبها! كان جارد يأتي متأخراً ولا يذوق الطعام لأنه كان يأكل خارجاً وكان إما يجلس لمشاهدة التلفزيون بصمت أو يدخل إلى غرفة نومه ويدير الستيريو ليعزف موسيقى عنيفة، كانت الشقة تضج بها بصوت مرتفع معذب.

صباح يوم قدمت له خدها بأدب ليقبلها مودعاً.. وكانت تسميها «قبلة المظاهر»... في هذا اليوم وقفت قرب الباب تحدق إلى جارد وهو يبتعد.

ابتسم اليكس من الردهة:

ـ تتمنين لو تمر الساعات سيدة دونيمز؟

تنهدت: «بل أتمنى لو أجد ما أفعله اليوم.. صباح الخير جيرامي».

تقدم اليكس إليها بعد وصول جيرامي الحارس المساعد ليحل مكانه:

ـ هل حاولت زيارة متحف لندن؟ معرض صانعي الساعات؟ مركز الألماس؟

عزت رأسها يأساً لكل اسم منها، ثم قالت:

ـ أحتاج إلى عمل.. لجزء من الوقت.. عمل عادي

ابتسم: «أستطيع مساعدتك، لدى عدد وافر من المعارف.. الإناث».

ضحكت: أراهن على هذا.

ـ ما الذي تبحثين عنه بالضبط؟

ترددت.. وسرعان ما ربح الضجر الجولة على الحكمة:

ـ لماذا لا تتفضل بالدخول؟.. سأخبرك ونحن نحتسي القهوة بما أبحث عنه!

برقت عينا اليكس:

ـ سأحب هذا سيدة دونيمز.

أبعدت حقيبة وثائق جارد جانباً واقتادته إلى المطبخ:

www.rewity.com
gege86

- الحقيقة أنني لا أهتم بطبيعة العمل. أكاد أجن.. لم أشعر قط بالأيام تترامى أمامي فارغة هكذا.

- وهذا ما يبدو لي نعمة من الله.

- اجلس أرجوك.. يجب أن أغلي الماء.

- هذا جهاز راديو جميل.

وأدار الراديو المسجلة الجديد.. وصدح الراديو بموسيقى الروك الصاخبة:

- عظيم..! هل تعترضين إن تركتها دقيقة؟

هزت رأسها موافقة، وتناولت صندوق البسكويت..

صاح البكس ليعلو صوته صوت الموسيقى:

- أتعرفين.. جسمك رائع.

صمت الراديو بحدة.

- وهو ملكي.

كان صوت جارد مفاجئاً وخطيراً وأجش. ارتدت على إثره آغاثا بحدة.. وحاول البكس النهوض ولكن يدي جارد ضغطتا على كتفيه فأعادتاه إلى مكانه.. البكس قوي نوعاً ما، لكن في عيني جارد غضب جعله لا يجرب هذه القوة.

- جارد.. كان البكس..

قاطعها: «الآن، أقترح عليك أن تمضي الساعات التالية بالبحث عن عمل جديد.. فعملك هذا هو آمن كالأمان الذي يحس به الإنسان عند الدخول في نفق قطار وأنت مغمض العينين.. لن تعرف أبداً ماذا سيحدث!»

تأوهت آغاثا:

- آه! لا.. هذا ظلم جارد.. دخل لأنني دعوته.. أترى..

قاطعها مرة أخرى بنبرة صوت رقيقة خطرة:

- إنّه أمر خاص بيننا.. اسمع أيها «الولد الذهبي».. احمل نفسك إلى مكان آخر اليكس.. أنا واثق أن هناك عدداً من الزوجات الضجرات اللواتي قد لا يعترض أزواجهن على قيامك بتسليتهن في غيابهم.

ارتفعت يده على مهل وتحرك حاجباه في أمر غير ملفوظ، فوقف اليكس الذي قال بتحد:

- لست مضطراً إلى الرحيل.

قال من بين أسنانه: «أسعدني بتحدي إرادتي».

صاحت آغاثا: «اليكس! أرجو منك أن تذهب».

- حسناً.. لكنها هي التي دعتني لفنجان قهوة! والحقيقة أنني لم أرتكب عيباً.

صاح جارد:

- لا.. ولكنني عدت إلى البيت.. حسناً آغاثا؟

- كنت ضجرة.. قال اليكس..

- لا أهتم بما قاله.. ضجرة.. هيه؟

ابتلعت خوفها:

- لماذا لا تصبح بدل تهديدي برقتك؟

نظرت إلى وجه جارد ثم هرعت إلى غرفة نومها القديمة.. ولكنه لحق بها وأدارها بعنف ليلصقها بجدار المطبخ.

تمتم: «هل طارحك هذا الولد الغرام؟»

صاحت: «لا!»

- إن تبين لي أنك غير وفية لي، فسأسحقك وأرميك في النهر.

أخافتها عيناه اللتان لا قرار لهما واقشعر جسمها من صوته الهامس ولكنها صاحت مذعورة:

- أقسم بأنني لم أخنك! آه! لماذا أنت مجحف بحقي؟

- ليت السبب هو السبب ذاته الذي تظلميني من أجله.. أما الآن فبتّ

www.rewity.com
gege86

غير واثق، ولا أستطيع المخاطرة.

ما إن تركها حتى شعرت بالراحة. دارت بوجل حول طاولة المطبخ، تفرك معصميها.

تابع بلؤم شرير:

ـ آسف لأنني أضجرتك. يجب أن نفعل شيئاً بهذا الخصوص، ربما كان يجب أن أبدأ كما نويت.

لم تفارقها عيناه وهو يطلب رقماً على الهاتف.

قال برقة: الغي جميع مواعيدي في الأيام القليلة التالية.

أصغى قليلاً ثم ضحك ضحكة ماكرة قبل أن يردّ السماعة إلى مكانها.

قالت آغاتا: «أفكر أن أعمل جزءاً من الوقت لألهي نفسي، ولهذا دخل اليكس... أراد أن يقدّم لي نصيحة».

تنهد تنهيدة متوترة:

ـ يجب أن تلجئي إليّ عندما تحتاجين إلى نصيحة.. فلدي الرد على مشكلتك!

مررت لسانها فوق شفتين جافتين كالرمال:

ـ أوه.. وما هو إذن؟

حمقاء.. حمقاء.. حمقاء! لماذا طرحت هذا السؤال؟

قبل أن تتحرك أمسك يدها بقبضة لا ترحم وجذبها إليه شاداً إياها إلى صدره.

قال: «هذا».

وأطبق عليها.. لا مفر منه.. فها هو ظهرها يؤلمها بسبب التصاقه بطرف الطاولة وبسبب ذراعيه اللتين تشدانها إلى جسمه المتوتر الذي لا يلين.

صاحت: «كفى! توقف عن هذا! لقد قلت..».

ضحك ساخراً:

ـ أعرف ما قلت.. ولكننا سنكتشف من منا سينهار قبل الآخر..

ـ لن أنهار أنا..! لا أطيق أن تهاجمني.

ـ ومن تحدّث عن المهاجمة؟

التقطها بهدوء ليحملها فراحت تتلوى بين ذراعيه ولكنه استطاع الدخول إلى غرفة النوم التي صفق بابها وهناك ضمها مجدداً إلى جسده بذراع واحدة ليتمكن باليد الأخرى من إقفال الباب بالمفتاح.

مرت يده الأخرى على ظهرها فقوّت نفسها من هذه المشاعر التي تدفقت في شرايينها، فضحك مجدداً ورفعها إلى السرير.

تمتم: قليل من الموسيقى على ما أعتقد.

وشغّل الستيريو.

قالت ساخرة: «لن تستطيع أن تدفعني بذلك لأحبك».

ـ أنا لا أتوقع منك الحب.. يكفيني الاستسلام المجنون.

ـ هاه!

ضغط على زر قرب السرير، فأسدلت الستائر فوق النوافذ.

قالت باهتمام ساخر:

ـ رائع! وأنا من كنت أقفلها بيدي طوال الوقت.. هل سيستغرق الأمر وقتاً طويلاً؟ ثمة برنامج تلفزيوني ثقافي أريد مشاهدته.

برقت عيناه السوداوان:

ـ أقترح عليك نسيان أية ترتيبات في الأربع وعشرين ساعة القادمة.

قالت ساخرة: يا لتفاؤلك! ألست متفائلاً؟

صحح لها كلامها: «بل خبير».

بقيت آغاتا جامدة قدر المستطاع، لا تقاومه أبداً. إنها امرأة لن يفوز بها بغير الحب..

انتهت أغنية الحب.. وقبل أن تبدأ التالية، ران صمت لم يكن يقطعه غير أنفاسهما.. أنفاس آغاتا هادئة مدروسة وأنفاسه متسارعة ثم شعرت

www.rewity.com
gege86

بيديه تتحركان بلطف ورقة على بشرة كتفيها. ولكن آغاتا أجبرت نفسها على عدم الاستجابة له، فراحت تجيل النظر في الغرفة بسأم ثم سرعان ما انسحبت الأصابع.

قال من بين أسنانه: «اللعنة عليك آغاتا!»

لم يكن في عينيها بريق الانتصار بل بؤس رهيب..

قال: حسبتك تحبينني.

ـ أوه؟

نظر إليها من فوق كتفه: ألا تحبينني؟

سألته ببرود: «وما رأيك أنت؟»

وقف: إنه أمر لا يناسبني.

ـ أنت تريد فقط أن أبدو رائعة أمام المحكمة حين تنظر في دعوى حضانة بيرتا. سأضطر إلى التظاهر أمام الجميع.

قال ساخراً: «أجل.. وماذا أحتاج أكثر من هذا؟ أظن أن المنزل في «لويس» سيكون كبيراً علينا نحن الثلاثة فقط.. فعلى ما أظن أنت لا تريدين أن أكون أباً لأطفالك».

توقفت يدها في منتصف الطريق إلى شعرها لكنها أجبرتها على التحرك.

قالت بجفاء: لكنني أفضله.

ـ إذن، يجب أن نجد لك ما يشغل أوقاتك. استقبال العمالقة الشقر المعجبين بجسدك أمر غير حكيم.. لأنني أغار أن يحاول الآخرون أخذ ما لم أتذوقه.. ربما يجب أن نبتعد في عطلة.

ـ لا!

لأن الرحلة ستجمعهما كثيراً.

ـ إذن.. من الأفضل استخدام الوقت الحر الذي أصبح فجأة بين يدينا في زيارة بيرتا.. أكون ملعوناً لو عدت فألغيت ما قررته بشأن أخذ عطلة.

فهذا مذل جداً.

سخرت منه: طبعاً.. يجب ألا نذل جارد دونيمز العظيم.. أليس كذلك؟ يجب أن يظهر الوجه الذي يقدمه إلى العالم بدون عيوب.. ويجب ألا يقال عنه إن زوجته لا تحتمل أن يقترب منها!

ـ وحق الله.. في هذه الأيام لسانك سليط بشكل غريب.

قالت ببرود:

ـ حقاً؟ من أين حصلت عليه.. عجباً؟

تمتم من بين أسنانه ومد يده إلى الهاتف ليتصل بكلارا. ثم قال:

ـ إن لم يكن هناك مشكلة فستذهب كلارا حالاً لتجلب بيرتا.. الطفلة تنتظر بفارغ صبر رؤيتنا وتكاد تدفع جاي إلى الجنون، لذا ستكون سعيدة بالابتعاد عنها مدة قصيرة. حضري ثيابك.. سنسافر إلى برايتون حالاً.

سيكون هذا تغييراً وستتمكن من الاستمتاع بصحبة بيرتا.. لم تكن الرحلة مرحة لأن الصمت والتوتر خيّما على الجو.. وكان جارد من كسره.

قال عابساً:

ـ آغاتا.. سيكون هذا صعباً قليلاً علينا.

ردت بوجه متحجر:

ـ أعرف ما هو متوقع مني.

ـ عظيم.

لكن صوته حمل بعض الريبة.. نظرت آغاتا مباشرة إلى ثغره العنيد وإلى فكه القاسي، ثم وجهت بصرها إلى الأمام.. يجب أن تمثل دور الزوجة المحبة من أجل بيرتا ولخداع كلارا.

قالت كلارا: بيرتا توقفي عن احتضان سيقان الجميع واتركي والدك وآغاتا يدخلان.. تبدين في غاية الجمال آغاتا ولكنك أنحف قليلاً عما عهدتك.

www.rewity.com
gege86

كانت آغاثا قد عقصت شعرها على قمة رأسها، وارتدت بذلة صوفية دافئة تناسب الريف. وكان في وجهها إشراق لم يكن مشهوداً من ذي قبل.

شقة كلارا هي الأناقة بذاتها، تمتد فوق طابق أرضي مهيب وضخم، سقفه مرتفع ونوافذه مقنطرة تطل على ساحة معمدة.

قالت آغاثا بدهشة: «هذا جميل».

ـ شكراً لك. أترغبين في إلقاء نظرة على المكان؟ جارد، بيرنا تتوق إلى هدايا مولدها. يجب أن أريك مستنبتي الزجاجي.. إنه فخر حياتي.

سرها الابتعاد عن جارد المخيف.. لحقت بكلارا ورفعت أكمام كنزتها بعدما أحست بالحرارة الشديدة داخل المستنبت.

قالت كلارا بانتقاد: «فقدت بعضاً من وزنك حقاً؟ ولماذا جارد على هذه الدرجة من التعاسة؟»

احمرت آغاثا: أنا.. لا أعرف قصدك. يا إلهي! المكان حار هنا.

نظرت كلارا حولها برضى:

ـ كلها نباتات شبه استوائية.. أنت تحبينه، وهو يحبك.. فما المشكلة؟

فغرت آغاثا فاها.. ثم قالت بحدة:

ـ أتمزحين؟ أعرف أنه يجب أن تكرهيني..

ـ أكرهك؟ يا ابنتي العزيزة، أنا أحب جارد لذا لن أكره زوجته. إن كنت من يريد فإذن أنت من أريدها له زوجة.. لقد رأيت هذا الرجل منذ نعومة أظفاره. يجب أن يكون الحب قد شتته، والسعادة تعمّ قلبه ولكن كل الدلائل التي أحصل عليها منكما مغمورة بالثلج.

أسندت آغاثا نفسها إلى إطار الباب، وأغمضت عينيها.. وبدأت تقول بدون انفعال:

ـ يجب أن تعرفي أن جارد تزوجني ليحصل على حق حضانة بيرنا وليغبظ إيلياس.

صاحت كلارا بعدم تصديق:

ـ ماذا؟ لا شيء من هذا أبداً! تشتت تفكيره في كل الاتجاهات لأنه يحبك حباً كبيراً.

توسلتها آغاثا بعينين متسعتين: أرجوك..

ـ أيها الزوجان الأبلهان! أنتما بحاجة إلى من يدق رأسيكما! هذا الرجل واقع في حبك.. لقد أخبرني بشعوره هذا بكلمات رقيقة ذليلة جعلتني أبكي عليه. مهما كان الذي يسد طريق التواصل بينكما، تخلصي منه! إنه أحمق.. لقد أمضى حياته يتعلم كيف يخفي مشاعره.. آه! آغاثا، لقد عاش طوال حياته في حقل ألغام من الأكاذيب والخداع، تصوري كيف ستشعرين لو ضُربت بوحشية بناء على أوامر جدك وفي جنازة أبيك؟ في تلك اللحظة توقفت عن كراهية ومعارضة الحق الذي يطالب أباه فيه، وبدأت أحبه وأمه وأشفقت عليهما. لقد رأت كبرياءه العظيمة ورأيت كفاحه ليقف على قدميه ثم رأيته يمسك بذراع أمه ويسير رغم كل شيء إلى قبر أبيه، مجروحاً ومحطم الوجه.. في تلك اللحظة لم يجرؤ أحد على لمسه.. ومنذ ذاك الحين استحال على أحد لمسه.. فلا تحمدي عواطفه وإلا فقدت أعظم رجل قد تحصلين عليه يوماً، آغاثا دونيمز! سيفسد زواجكما..

صاحت باكية:

ـ هذا ما حصل! إنه لا يحبني! ولن يتنازل!

تمتمت كلارا غاضبة:

ـ اللعنة على كبريائه! هذا ما ورثه عن أمه! أتريدين أن أستبقي بيرنا عندي ريثما تسويا أموركما؟ لأنني إن لم تسوياهما أجلستكما ولقنتكما درساً لن تنسياه أبداً.. وأنا لست مخطئة.. أنت تحبينه أليس كذلك؟

ـ أحبه.. لا.. نعم.. الأمر فقط.. لا أستطيع تعريض نفسي لقسوته.. أنا.. أجل، أحبه، وإن استمر بمعاملتي بقسوة انتحرت.

www.rewity.com
gege86

ـ عانى جارد من خيبات أمل كثيرة في حياته.. ولم يتلق غير القليل، القليل من الحب.. صدقيني أعتقد أنه يحبك حباً كبيراً لا يجرؤ معه على المخاطرة بأن ترفضيه لأن هذا سيدمره إلى الأبد.. أنتما متشابهان.. ألستما متشابهين؟

وابتسمت.

لقد قال لها جارد هذا يوماً.. قد تبقى بعيدة وتصبح باردة أكثر فأكثر مع الأيام لتحمي نفسها وهو سيبقى على حاله. وستبقى الحواجز بينهما تمنع العبور.. أو.. يمكنها المغامرة بتصديق كلارا.

شجعتها كلارا: «ألا يستحق المخاطرة؟»

همست: «أنا خائفة».

ـ وهو خائف كذلك.. وتعيس بائس.. فهل تريدينه بائساً؟

ـ لا! أنا.. أنا.. سأجد طريقة.

صاحت بيرتا من آخر الرواق الرخامي

ـ آغاتا.. تعالي! دادي سيخبرك بسرنا.

رفعت عينين محترقتين إلى كلارا:

ـ لماذا..

ـ لأنني أحبه وأحترمه. ولأني أريد أن يكون أحد أفراد هذه العائلة اللعينة.. هيا.. أصلحي حال زواجك.

هزت آغاتا رأسها.. بينهما جدار رهيب من الكبرياء والبرودة وهي غير واثقة مما إذا كانت قادرة على شق طريقها عبره، وعبر دفاعات جارد التي بناها العمر كله. عند باب المطبخ توقفت.. هناك رأته محني الهام يلون قطعة ورق بقلم سميك.

أيها الأحمق.. جارد خافييه دونيمز! رجل كبير حكيم وصاحب تجربة يخاف أن يثق بحكم عقله.. لقد قلت له.. وغار قلبها إلى ما بين قدميها.. لقد ألمحت له أيضاً أنك تكرهينه! طافت عيناها بحنان على

وجهه المتوتر.. عرف أنها موجودة ومع ذلك تجاهلها بعناد.. ولكن عليها أن تخطو الخطوة الأولى.

جلست على كرسي إلى جانبه، فرفع رأسه عابساً. وقال:

ـ قيل لي إن غطيت هذه الورقة بشكل كثيف رأيت معجزة.. والواضح أنك تقومين بأمور مذهلة مع بيرتا.

قالت دونما اكتراث: «فلأساعدك».

لمّا مدت يدها إلى قلم آخر أجفل جارد لأن ذراعها لامست يده.

أضافت: «يجب تغطية كل جزء منها بالتلوين الشمعي».

وبدأت تلوّن الزاوية.

دفع كرسيه إلى الوراء: «أكملها أنت!»

ـ لا دادي! وأنت أيضاً! وإلا لن تعطيك آغاتا المفاجأة!

فقدت شفتاه الخط الصارم وتراجعتا عن أسنانه البيضاء.. أحست آغاتا بتوتر جسده، وشعرت بأن كلارا تراقبهما مشفقة. لوت رأسها عامدة متعمدة إلى جانب واحد بحيث لامس شعرها الحريري صدغه، فأبعد رأسه. ثم قال متنفساً الصعداء:

ـ لقد انتهت.

نظرت آغاتا إلى كلارا بيأس، فتلقت منها ابتسامة تشجيع وهي تقول:

ـ بيرتا.. يجب أن تذهبوا فوراً، وإلا لن يكون لديكم الوقت لتجربي السرّ وتظهري المعجزة لدادي... على فكرة، لقد رتبت أمر بقاء بيرتا هنا الليلة. بيرتا.. سيبقى دادي وآغاتا هنا الليلة أيضاً.. أليس كذلك؟

فكرت آغاتا: آه! ما أحبك إلى القلب!

صاح جارد: لا!

قالت آغاتا بهدوء: بلى.. سيكون هذا رائعاً. شكراً لك كلارا.. هل نذهب الآن جارد؟

كبت جارد أي تعليق، ورافق آغاتا المتفائلة وبيرتا المتفعلة إلى

www.rewity.com
gege86

سيارته التي قادها بصمت وتجهم إلى قمة تلة صغيرة تقع في ضواحي لوبس..

أخذت بيرتا تتحدث إليه وإلى آغاثا، وأسرعت تركض أمامهما راقصة حين توقفوا. عمَّ الجو ملامح الشتاء، ففي الجو تجهم وغيوم رمادية وهدوء يخيم على الأراضي الريفية.. أحست آغاثا بأن شيئاً خطيراً سيحدث..

أخذت بيرتا تدور حول آغاثا بجنون.

ـ افعليها الآن.. أرجوك!

ضحكت: تعالي إذن.. نظيفة.

وجلست على العشب المبلل قرب الماء.

خلع جارد «الأنوراك» وأشار إليها أن تقف، ثم وضعها تحتها. فتمتمت شاكرة وصبت اهتمامها على الأوراق التي كانت تطويها.

صاحت بيرتا بفخر:

ـ انظر.. قوارب!

ابتسم بفتور:

ـ هي هكذا حقاً.

جذبت آغاثا الدبابيس من شعرها تاركة إياه ينسدل بحرية بطريقة مثيرة ماكرة خبيثة.. لكنها لم تستطع النظر إليه.

راقبا بيرتا وهي تضع القوارب فوق سطح الماء وتنفخها بلطف لترسلها في اتجاهات مختلفة.

قالت آغاثا: إن التلوين الشمعي يجعلها تقاوم الماء.. في المزرعة كنا نضع نباتات داخل القوارب لتمثل الناس فيها.

ـ نباتات؟

ـ أعشاب، أخذت الفكرة من برنامج تلفزيوني. كنا نضع الحبق وإكليل الجبل والبقدونس.. ولقد علمتها أسماءها جميعاً.

ـ وكيف لقطع من الأعشاب أن تكون أناساً؟

ـ حين تكون في مثل هذا السن تجد أنك قادر على تصديق أمور كهذه.. وإذا كانت مشاعرك عميقة تكتشف أن شخصاً ما يحبك حتى لو تخليت عن الأمل.

نظر جارد إليها والحيرة على وجهه، أما هي فظهرت في كل عين دمعة كبيرة..

رفع ذقنها بأصبعه وامتدت يده الأخرى إلى كل دمعة تمسحها.

سأل بلطف: «على من تبكين؟».

ردت بصوت كسير: «علينا».

همس:

ـ لا داعي للبكاء.. السحر انتهى.. كما تقول الجنية الطيبة.

هزت رأسها نفياً ولأنها لم تكن قادرة على الكلام. حاولت التركيز على بيرتا التي كانت تتعلم صنع القوارب من الورق. ولكنها من خلال الدموع المترقرقة في مآقيها أحست بأن جارد متكدر جداً، ثم ما لبث أن دفن رأسه في كتفها وضمها إليه بقوة بحيث كادت لا تستطيع التنفس.

همس: «أحمد الله لأنني أستطيع أن أضمك أخيراً! خلتك لن تليني أبداً.. قلت إنني لن أتزوج بدون حب، لكنك رفضت الاستجابة لهذا القول».

صاحت باكية: «لم أحسبك تقصد نفسك».

ـ ومن قصدت غير نفسي؟.. كدت أتراجع عن الزواج بك.. وكان لدي شكوك كثيرة. ثم لمَّا عجزت عن الوصول إليك جسدياً..

ـ كان يمكنك الوصول عبر الحب.

ـ ظننت أن من الأفضل أن أقول لك «عملياً» ما أشعر به، لم أجرؤ على المخاطرة.. آه.. يا إلهي! سامحيني واعلمي أن الحياة علمتني باكراً عدم الوثوق بأحد.. آترين، عندما رفضتني حرت في أمري وعادت حياتي

www.rewity.com
gege86

جحيماً من جديد.

- لا زواج سعيد بدون حب.

رد بتذلل: أعرف، لقد كنت أحمقاً.. تستحقين رجلاً أفضل مني.

- هذا صحيح.. لكنني أحبك أنت، لذا عليَّ أن أكتفي.

- لا تمازحيني.. فأنا مرهف المشاعر.. فقد بدأت للتو أتعلم كيف أحب وأثق. ومن حسن حظك أنني سريع التعلم!

ابتسم ابتسامة أوقفت قلبها.

- آه.. جارد!

ما أسخفها لأنها تبكي!

- هس.. أنت تمزقينني بدموعك.. ستجعلينني أولول بعد لحظات حبيبتي.. وماذا سيفعل هذا بصورة «رامبو»؟

ضحكت ضحكة حزينة:

- لم تكن قطُّ «رامبو»... أظن أن تحت هذا القناع هراً لطيفاً.

أخذ يلثم وجهها وعينيها فقالت: ظلال العيون..

تمتم: آه! يا للسماء لم تفسد..

امتدت يداه إلى شعرها تملسانه بجنون.

تمتم: «يجب أن أتوقف عن ملامستك.. بيرتا صغيرة جداً، لذا لن تشهد ما يجول في خاطري».

ابتسمت قانعة بالانتظار.. وما تبقى من ظهر ذلك اليوم قضياه بملاعبة بيرتا.. وجدا عيداناً تمثلهما وضعاها في القوارب واخترعا قصصاً لإسعاد بيرتا.. أخيراً، وبناء على إصرار جارد، تزوج عودان.

عندما وصلا إلى شقة كلارا لم يكن من الضروري أن تقال أية كلمة لأنها عرفت من التعابير الرومانسية المشعة على وجهيهما أنهما وجدا أخيراً السعادة.

في وقت باكر من تلك الليلة وقفت آغاتا في أسفل سرير بيرتا تراقب

الطفلة النائمة.

طبع قبلة على خدها ثم تمتم:

- جاء دورنا الآن حبيبتي.

- الوقت باكر.. إنها التاسعة!

- طالما نقت إلى زوجة تعرف كم الوقت.

- جارد.. عدني بشيء.

- أي شيء.

- إن كسبنا حضانة بيرتا فلا تبعد جاي عنها.. لقد رهنت حياتها من أجل طفلتك.

- أعرف. سأكلمها.. فأنا الآن رقيق القلب، لطيف المعشر، أحب الجميع، أنا قادر على التصادق مع سمكة قرش، فما بالك بأختي وإلياس..؟ على أي حال، لقد حاربني لأنني حاربتهما وأظننا سنصل إلى اتفاق ما.. أعدك بها!! الشيء الوحيد الذي يزعجني هو عملي الذي يحتمل أن يتأثر.

- جارد! لماذا؟

- قلت لك.. أشعر بحرارة حمقاء نحو البشر، وهذا ليس أمراً مفيداً لناقد! لكن من يهتم لهذا في هذه اللحظات؟

أحاط كفاه بخديها.. ثم راح يعانقها.. وسرعان ما ولَّت التعاسة من زواجها.

قالت هامسة: «لماذا لا تقبلني؟»

ابتلع ريقه بصوت مسموع:

- إن قبلتك.. فلن أستطيع أن أتوقف لأنني أكاد أموت شوقاً حبيبتي.

كان يرتجف بشكل ظاهر بانتظار أن تمنحه آغاتا الإذن.

لم تستطع آغاتا أن تتكلم لشدة مشاعرها.

رفعت عيناها إليه ثم اقتربت منه فتأوه ابتهاجاً قبل أن يحتضنها بشوق

www.newity.com
gege86

وشغف.

أخذها من الغرفة إلى غرفتهما، وهو يضمها ويقبلها.. كانت موجات الحرارة تندفع بثبات في كيانها حتى ترنحت تحت وطأة مشاعرها.

تراجع جارد وعيناه تلتهمانها التهاماً، ثم أغمضهما قليلاً في كفاح مرير ليبقى سليم العقل. ثم ركع أمامها، فلحقت به ولامست خطوط وجهه الخشنة.

بعد قليل ابتسم جارد بلطف، وقال:

ـ لا أدري هل أهرب منك أم أبقى.

ـ ولماذا تريد أن تهرب؟

ـ لأنك تخيفينني.. قد أرتكب جريمة من أجلك وفقداني السيطرة على نفسي أمر لا يعجبني أبداً.. لقد لزمني وقت طويل لأتعلم كيف أخفي مشاعري.

ـ يجب ألا تخفي مشاعرك معي.

داعبت أذنه:

ـ آه.. لا تفعلي هذا.. احمدي الله لأنني كنت أسيطر على نفسي.. فلا أظنك عرفت أنت وأليكس أنني كنت على وشك رميه من النافذة لأنتزع تلك البسمة الماكرة عن وجهه الوسيم.

ضحكت عيناها له بغبطة:

ـ ولماذا سيد دونيمز؟ غيرة؟

ـ ألا ترين؟ أليس لوني يلون الزمرد الأخضر من شدة غيرتي؟

لثمت مكان الندبة في خده، فأطلق نفساً طويلاً وأمسك شعرها جاذباً رأسها إلى الوراء.

ـ أحبك آغاثا.. أحبك.. أحبك.

بدا أنه ينتظر.. كان صدره العريض يعلو ويهبط والنبض في عنقه يخفق ويخفق، وأنفاسه تخبر بأدل من الكلمات كم انتظاره مؤلم.

ـ وأنا أحبك.. فهل لك أن تجعل زواجنا واقعياً؟

تأوه:

ـ ظننتك لن تطلبي هذا أبداً.

***

لامست آغاثا المشاجب في غرفة نوم بيرتا.. عبر السنين حملت تلك المشاجب ألعابها ورسومات مدرستها وربطات عنقها المدرسية، وزلاجاتها، وحذاء تزلجها...

في ذلك الوقت وبمساعدة كلارا أصبحت عائلة ماريونز أخيراً عائلة متوافقة مع جارد الجديد اللطيف. فإيلياس مثلاً كان عزّاب ابني آغاثا وجارد وخال متسامح مع ابنتي جاي اللتين تبنتهما.. أما ابن العم البعيد فلم يكن راغباً في الانتقال من مزرعته المريحة، فكان أن بقي إيلياس وبراتن وجاي في مزرعة ماريونز.. أخيراً تزوج إيلياس وأنجب ولداً.. ولأن الوريث الغائب كان أعزب فهذا يعني أن ابن إيلياس سيرث المزرعة.

***

صاحت بيرديتا وهي ترفع خمار العروس عن المشجب.

ـ القبعة.. القبعة.. لقد نسيتها!

ابتسمت آغاثا لبيرديتا:

ـ ثبتيها لها أنت بيرديتا.

وأخذت تراقب المرأة المشعة حيوية وإثارة وهي ترتب القبعة على شعر بيرتا الأسود الأزرق وارتد لها انعكاس صورة ابنة جارد وأمه إليها بعيني جارد، وخديه، وجماله، وعرفت أن عينيها تبرقان بدموع لم تحاول إخفاءها.

قرع الباب ودخل جارد طويلاً وسيماً فعلقت أنفاس آغاثا في حنجرتها لرؤيته.

قال بلطف: «لا تبكي آغاثا.. وإلا شاركتكما البكاء وعندئذ سيعرف

www.rewity.com
gege86

الجميع أنني رقيق القلب».

اندست بين ذراعيه.

- أجل.. يجب ألا نسمح لهذا أن يحدث.. أليس كذلك؟ فكر في العناوين الرئيسية: المؤلف البوليسي الشهير يبكي في عرس ابنته.

ضحك ضحكته المدمرة البيضاء التي تحطم قلبها.. في تلك اللحظة نهضت بيرتا عن طاولة الزينة واستدارت إليهم جميعاً. في تلك اللحظة تحولت عينا جارد إلى لون الدبس الأسود المائع.. وهمس وهو يعانقها بحنان:

- ما أجملك! من اقترح عليك أن تتركي شعرك منسدلاً؟

ضحكت بيرديتا: فكرتي.. هي مثلك ومثلي ترفض الطرق التقليدية.

ضحك جارد: «فليساعد الله زوجها!».

ردت بيرتا ضاحكة:

- لا يستطيع الانتظار من فرط اللهفة.

سألت آغاتا:

- هل كلنا جاهزون؟ لقد تركت في الأسفل شابين ملهوفين يدوران على أعقابهما.. ويبدوان لي مألوفين بشكل غامض.

هرعت بيرديتا من الغرفة صائحة:

- آه.. حفيداي الوسيمان!

ضحكت بيرتا: «أقلت وسيمين؟ هذا ما يجب أن أشاهده».

لامس جارد شعر آغاتا بحنان: «أحبك حبيبتي».

همست: «قبلني إذن».

ابتسم: «ظننتك لن تطلبي هذا أبداً».

***

www.rewity.com

gege86